

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مكتبة الأزهر

في كل شهر عربي

ماعدا شهرى الحر الشديد

الجزء الثامن	٦٧ شعبان سنة ١٣٦٥	المجلد السابع عشر
--------------	-------------------	-------------------

مدير إدارة المجلة ومحررها

محمد فريد خير الدين

الاشتراكات عنه

داخل القطر ٢٠٠
لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ... ١٠٠
خارج القطر ٣٠٠

الإدارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

نمن الجزء الواحد ٢٠ مليا داخل القطر و ٣٠ خارج

(مطبعة الأزهر - ١٩٤٦)

فهرس

الجزء الثامن - المجلد السابع عشر

الموضوع	صفحة
كلمة الأستاذ الأكبر بمناسبة ذكرى وفاة الأستاذ الامام	٣٣٧
السيرة المحمدية بقلم	٣٣٩
حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٣٤٤
مثل القائم على حدود الله	٣٤٤
فضيلة الأستاذ الشيخ طه الساكت	٣٤٧
حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	٣٥١
خاله بن الوليد	٣٥٤
فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون	٣٥٤
لقب جماعة الشرف تهديه الحكومة الفرنسية لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر	٣٥٥
هل نحتاج البشرية الى دعوات إصلاحية بقلم	٣٥٥
فضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى	٣٥٩
أحمد موسى	٣٦٢
الشيخ محمد النجار	٣٦٦
أحمد موسى	٣٩٩
محمد عبد الحليم	٣٧١
علي محمد حسن	٣٧٥
محمد عبد المنعم خفاجي	٣٧٩
رياض هلال	٣٨٢
أحمد الشرباصي	

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى
عبد الرزاق ، أذاعتها محطة الشرق الأدنى للإذاعة بمناسبة
الاحتفال بالذكرى الحادية والأربعين لوفاته الأستاذ الإمام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بمناسبة الأربعين لوفاته الشيخ محمد عبيد رحمه الله عليه أقيمت حفلة تأبين أنشد فيها
المغفور له حفيظ بك ناصف قصيدة مقلدها :

لم لا تحيب وقد دعوت مرارا يكفى سكوتك أربعين نهارا

، الآن مضت عتبة وفاة الشيخ إحدى وأربعين سنة ولا يزال ساكنا لا يحيب مناديا ، لكن
دعوة الإصلاح التي ملأ الدنيا به وسمى لها سمها وهو جاهد لا تزال قسوة حية تتردد
في الآفاق ، يستمع لها أهل الفطر السليمة ويستجيبون لندائهم مؤمنين بأنها دعوة الحق والخير
التي ينهض بها المسلمون ، ويسعد الناس أجمعون .

كان الأستاذ الإمام طالما مفكرا ، ومصاحبا اجتماعيا ، أساس الإصلاح عنده الدين .

ومع تشعب وجوه الإصلاح الذي دعا اليه وتعدد نواحي نشاطه في سبيل هذا الإصلاح
كان حريصا على أن يكون الجامع الأزهر مركز النهضة ومشرق النور .

كانت فكرة الشيخ عبده الإصلاحية ترمي إلى أن يخلص الاسلام مما شابته ، وأن يربي
على هذا الاسلام الخالص رجالا قويمى الأخلاق ذوي سعة في العقل وحرية في الرأي ، وذوى
فهم وبيان ، يستطيعون أن يكونوا في الناس أسوة حسنة ، وأن يقيموا صرح التربية في الأمة
على أساس من الدين ، وأن يكونوا ذوي نفوذ طيب الأثر في العالم الاسلامي ، وبذلك يصبح
الأزهر منارة هدى وعرفان ، وينبوعا للنهذيب النفسى والفكرى والدينى والحقائق .

كان الشيخ يحب الأزهر حبا جما ، ويحرص على خير الأزهرين حرصا شديدا ، غير أن لهجته
في نقد ما يحتاج للإصلاح من أمرم كانت لا تخلو من فسوة أحيانا ، مثل قوله :

« ثم إن المعروفين بالعلماء وهم الذين يتمون دروسهم في هذه المدرسة — الأزهر —
ويؤذن لهم بالتدريس فيها ، هم قدوة الناس وأئمتهم ، مع أنهم أقرب للتأثر بالأوهام والانقياد

الى الوساطة من العصامة ، وأسرع الى مشايعتها منهم ، وذلك بما ينشأون عليه من التعليم الرديء والتربية المختلفة التي لا ترجع الى أمل .

لا جرم لم تسر في الازهر دعوة الاصلاح التي نهض بها الشيخ محمد عبده سيرا حثيثا ، ولم يلق الشيخ محمد عبده من الوفاء والتقدير ما كان به جديرا (وقد تخلف كل الرجال المرميين من أهل الازهر عن الاشتراك في حفلة تأبينه يوم الاربعين) .

تبدلت الحال اليوم غير الحال ، وشقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الله سبيلها بين شباب الأزهر وبين شيوخه ، وأصبح خصومه - إن كان قد بقي له خصوم - لا ينطقون به واجس خواطرم
الاهمما .

وهذا شيخ الأزهر يفتتح حفلة الذكرى الحادية والأربعين لوفاة الأستاذ الإمام بتحية
وفاء صادق للأزهري العظيم الشيخ محمد عبده الذي جاهد في الله حق جهاده .

حيا الله مضجعك أيها الأستاذ الامام ، وجزاك الله خيرا عن الأثر ، وجزاك الله خيرا
عن الاسلام !



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

السيرة في العلم والفلسفة

تحت ضوء العلم والفلسفة

النبوة حاجة روحية لا معدى للإنسانية عنها

لقد ارتكب الماديون شططاً بعيداً بادعائهم قيام الوجود المادى بدون قدرة مدبرة له ،
ويزعمهم أن نوااميس الطبيعة تكفى لتعليل كل ما هو عليه من نظام وإحكام ، ومن تنوع
وإبداع في الكائنات ، حتى الحية منها إلى أن تصل إلى الإنسان .

الشطط في هذه المزاعم بعيد المدى بحيث يتعدى تصوره ، ولولا أن العقل الإنساني مهما
سما في معارج التكمل ، لا يزال على حالة توجب الأسف من النقص ، لما لقي مثل هذا المذهب
من رواج بين ظهرائي أمم بلغت شأواً بعيداً من الثقافة .

ظهرت المادية في حضارة الفلسفة قبل أكثر من ألفي سنة ، ولا سيما في بلاد اليونان ، وقد
نقلنا أشهر مذاهبهم في مواضعها من هذه السيرة ، وتبين منها القراء أنها بحكايات العجائز
أشبه ، وما زال المذهب المادى يتجرد من حشوه الرث ، على نسبة تقدم العلم ، إلى أن وصل إلى
القرون الأخيرة على صورة دعوى مجردة عن الأدلة ، أسامها استبعاد أن يكون في الكون
قوة خارجة عنه تدبره من عل ، محتجا بأن فيه من آثار التطورات التدريجية ، والمحاولات
الفاشلة ، ومن الشرور والدوافع القوية إليها ، مالا يتفق وافتراض وجود تلك القوة المدبرة .
فلو عرضت لعقلك الكون على ما فيه من عوالم متناسكة أو مترابطة ، ومن إبداعات
عجيرة للعقل في دقتها وتناسقها ، وذهابها في الجمال والأناقة كل مذهب ، ومن قيام المواد
وما ركب منها على نظام هندسى ، استنتج العقل من النظر إليه أسمى قوانينه الرياضية وأصوله
الميكانيكية ، وما سماه بالنوااميس الطبيعية ،

ثم لو عرضت لنظرك عالمي النباتات والحيوانات ، وما تجلت فيه من الصور الرائعة ،
وما قامت عليه من التراكم المعجزة ، وما ألهمت الأحياء الضعيفة والقوية من مقومات
حياتها ، وما أوتيته على ضعفها من الحيل والوسائل لتحصيل قوتها ، وحفظ صفاتها ،

لو عرضت لعقلك ونظرك كل هذه العوالم والكائنات ، لاحتقرت كل من يدعى أنها وجدت
من طريق الاتفاق المحض ، وأن القوى الطبيعية المجردة من العقل تستطيع أن توجد لها على

ما هي عليه من تباين في الصور ، وتنوع في التراكيب ، واختلاف في القوى ، وخاصة إذا تدبرت في أن جميع هذه الكائنات الحية الضعيفة قد أُنشئت من رسائل حياتها ، وذرائع وجودها ماعم جميع أفرادها ، وكان سببا في حفظ ذواتها وأنواعها أجيالا لا تحصى ، وهو مما لا يمكن حصولها عليه بقواها الذاتية .

أليس في هذا دليل محسوس على أن الخالق تولاها بالهداية ، وبث في روحها من العلم بالرسائل ما تحفظ به حياتها الفردية والنوعية ؟ ولقد حاول قطب المادية أن يعللوا هذا الإلهام بأسباب طبيعية ، ففشلوا ، واعترف داروين نفسه في كتاب الأنواع بأنها مسألة مستحيلة الحل .

وإذا أراد القارئ أن نستأنس ببعض آراء علماء السكون في هذا الموضوع ، ثوابه بما قاله العلامة (ادوار ميلين) المدرس بجامعة السربون ، عند ذكره حياة الحشرة أكسيلوكوب :

« إن هذه الحيوانات التي تراها طائرة في الربيع ، تمش منفردة وتموت بعد أن تبيض مباشرة ، فلم ير صفارها أمهاتها ولا تعيش هي لتري أولادها ، التي تكون على حالة ديدان لا أرجل لها ، ولا تستطيع حماية نفسها من أبة عادية ، ولا الحصول على غذائها ، ومع ذلك فحياتها تقتضي أن تبقى مدة سنة من الزمان في مسكن متصل وهدوء تام وإلا هلكت .

« فترى الأم متى حان وقت بيضها ، تعمد إلى قطعة من الخشب فتحفر فيها سردابا طويلا ، فإذا أتمته على ما ينبغي ، أخذت في جلب ذخيرة تكفي صغيرها سنة ، وتلك الذخيرة هي طلع الأزهار ، وبعض الأوراق السكرية (ومن أدراكها بذلك وهي لم ترها ولم تعرف ما يلزمها ؟) ، فتحشو ذلك الطلع في قاع السرداب ثم تضع بيضة ، وتأتي بنشارة الخشب فتكون منها عجينة تجعلها سقفا على تلك البيضة . ثم تأتي بذخيرة جديدة فتضعها فوق ذلك السقف . ثم تضع بيضة أخرى وهم جرا ، فتبنى بينها مكونا من عدة طبقات ، ثم تترك السكك وتموت .

ثم عقب هذا العالم الجليل هذا البيان بقوله :

« يجب أن يدهش الإنسان حين يرى حيال هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون لك أن كل هذه العجائب الكونية ليست إلا نتائج لاتفاق (أي الصدفة) ، أو بعبارة أخرى نتائج الخواص العامة للمادة ، وأثر لتلك الطبيعة التي تكون مادة الخشب ومادة الأخجار ، وأن إلهامات النمل مثل أسمى مدركات القوة المدركة الانسانية ، يست إلا نتيجة صم القوى الطبيعية والكيمائية التي بها يحصل تجمد الماء واحتراق الفحم وسقوط الأجسام . إن هذه الفروض الباطلة بل هذه الأضاليل العقلية ، التي يسترونها باسم العلم المحسوس ، قد دحضها العلم الصحيح دحضا ، فإن الطبيعي لا يستطيع أن يعتقدها أبدا . وإذا

أطل الانسان على وكر من أوكار بعض الحشرات الضعيفة ، يسمع بكل جلاء ووضوح صوت العناية الالهية ترشد مخلوقاتها الى أصول أعمالها اليومية ، اه .

ألمست ترى بعد الاطلاع على هذا التفصيل الدقيق من تاريخ حياة حشرات لم تر أمهاتها صغارها ، ولم تر صغارها أمهاتها ، أن الوحي الالهي لها حقيقة تكاد تكون ملحوسة ؟ وإلا فمن أين لها هذه المعرفة بملابئ أجنحتها في داخل بيضاتها ؟ ومن أين لها العلم بحاجاتها الى كل هذه العناية ؟

هذا مثل من عشرات ألوف من حياة الحشرات وغيرها ، وهو يشهد بأن الخالق متوليها بالوحي لاستبقائها وجرء آمادها وأنولها ، ويشهد في الوقت نفسه بحاجة العالم الحي الى تدبير مدبر ، ولا ياد بل لم يوجد أصلا ، لاستحالة وجوده معتمدا على نفسه .

أما العالم الانساني فقد نشأ مؤمنا بالوحي الالهي ، وأظهر مظهر لذلك أنه نشأ متدينا ، فلم تشاهد في أعمق ما وقعت عليه أعين العلماء الجيولوجيين من آثار العالم الانساني بقايا أمة كانت غير متدينة ، ولم يوجد على سطح الأرض أمة أو جماعة مهما بلغت من دركات الانحطاط العقلي لاندن بدين تما ، ومن أخص لوازم الدين الاعتقاد باتصال المخلوق بالخالق على نحو ما .

وفي العهد الأخير للانسانية ، وقد أوغل العلم في التسلط على تفكيرها ، استبعد كثير من الناظرين أن يكون لله رسل الى الناس وقد أقام عقلا يعززون به بين الحق والباطل ، وغفلوا أن للانسان حاجة روحية متأصلة في نفسه ، وهي الاتصال بقيوم الوجود . فان العالم مهما بلغت فتنته للعقول من الناحية العلمية والصناعية ، فان فيه من النقص وعوامل الفناء والوحشة وعدم الكفاية لاشباع مطامح النفس ومطامع العقل ، ما يحوّل كبار القلوب عنه لتلصص عالم أرفع منه ، يجد السمو الروحي الذي يشعر به الانسان مسرعا للتمتع فيه بحياة أعلى ووجود أسمي . فليس هؤلاء المفكرين الممتازين ، وعديد لم يزداد كل يوم ، إلا أحد موقنين : إما اليأس وتكثير سواد المتشائمين ، وإما الرجاء والبحث عن حقيقة الحياة الانسانية مع الباحثين .

وقد وفق الله الأخيرين الى نواح من البحث في الشخصية الانسانية ، فاهتدوا الى حقائق لم يكونوا يحلمون بها ، وعوالم لم يكونوا يتخيلون وجودها ، أرتهم رأي العين أن ما كانوا يعتبرونه شبهات علمية ، ما هي الا جهالات بالحقائق السكونية .

فانه في القرن الثامن عشر ، حيث أخذت الشكوك في الدين بأكظام الباحثين ، وتوالت البحوث العلمية لإثبات آلية الطبيعة وتجردها من كل ما يمت الى الروح بسبب ، اكتشف عالم ألماني هو الدكتور (مسمر) في سنة ١٧٧٠ التنويم المغناطيسي ، فأثبت بالعمل أن الانسان ليس بمجرد أداة مادية ، ولكنه مستودع لروح تخالف المادة من جميع الوجوه ، وتتسلط

عليها بعد أن تبطل عمل النواميس الطبيعية عنها ، ودلل على وجود عقل باطن للانسان أرفع من عقله المادى ، متصل بعالم روحانى أسمى بما لا يقدر من العالم المادى .

نعم إن هذا الاكتشاف هال العلماء الجامدين ، وثاروا عليه جاهدين ، وظلوا يجالونه قرنا كاملا ، ولكنه تغلب بحقائقه الثابتة على كل خصومه ، وحصل على اعتراف العلم به . فكان هذا الاكتشاف بمثابة كوة فنحها العلم الى عالم الروح ، مكنته من دراسة الشخصية الانسانية الباطنية دراسة علمية محضة ، كانت نتيجتها الاثبات بالدليل المحسوس أن الانسان الحقيقى ليس محصورا فى هذا الجسد الحيوانى ، ومدى وجوده ليس قاصرا على ما حوله من الكائنات المادية ، ولكنه ينطوى على قوى باطنية علوية منصلة اتصالا مباشرا بالعالم الروحانى على درجات شتى ، وأنه يستمد منها كل ما يشعر به فى نفسه من سمو ، وكل ما ينوق اليه فى حياته من خلود .

إن هذا الاتصال الروحانى بين النفس البشرية وبين عالم ما وراء الطبيعة ، وقد أصبح حقيقة علمية ، يقرّب الى عقولنا مهما بلغت من الورع الفلسفى ، أن قيم الوجود يصطفى أرواحا شديدة الاتصال بذلك العالم ، فيوحى إليها ما يريد إبلاغه الى خلقه مما يجب أن يأخذوا به من التعاليم الادبية والاجتماعية ، لتتألف منهم مجموعة مختارة تحدث من الانقلابات ما تكون الاسرة البشرية فى أشد الحاجة إليه .

وقد حدث ذلك فعلا فى جميع أقطار العالم ، حتى فى العهد الذى كان الناس فيه يجهل بعضهم وجود بعض ، تفصلهم بحار مترامية الشواطىء ، ومساويف لا يمكن قطعها بما لديهم من الوسائل ؛ فوجدت ديانات لاحصر لها أخذ بها أهلها فى حياتهم المادية والادبية ، تختلف فى جزئياتها على قدر اختلاف عقولهم وبيئاتهم ، وتتفق فى كلياتها ، وهى الاعتقاد بخالق الوجود ، وبوجود حياة بعد هذه الحياة يثاب فيها الانسان أو يعاقب على ما قدم فى حياته الدنيا من خير أو شر .

أليس أكبر مظهر لهذا الأمر الجلل ، أن يكون الناس الى عهدنا هذا يدينون بأديان شتى أتى بكل دين منها رسول خاص ، ذو تاريخ معروف وتعاليم محفوظة ؟ إن هذا العموم يدل دلالة قاطعة ، حتى مع جهل الأمم بعضها لبعض قبل هذا العهد ، على أن النبوة كانت حاجة روحية عامة لجميع البشر ، وإلا كانت اختلفت الأمم فى طرور تدينها ؛ وهذا الاتفاق يوجب على الفلاسفة دراسته دراسة جدية ، ومحاولة وجدان سببه فى النفسية الانسانية . أما الاكتفاء بالقول بأن هؤلاء الانبياء كانوا من الدين دفعهم حب التسلط على قلوب الناس الى أن يدعوا أنهم وسطاء بينهم وبين الخالق ، وأنهم يتلقون منه وحيا ليقبهم به على ما ينفعهم فى دنياهم ، فدهوى ركبكة لا يسيغها عقل ناضج ، فإن المتلاعبين بالدين يكونون عادة من سفلة الناس ، فلا يلبثون أن ينكشف أمرهم وتلفظهم أممهم لفظ النواة .

وليس زعم الكثيرين من علماء الاجتماع اليوم ، ومنهم المسيو جوستاف لوبون ، أن جميع الأنبياء كانوا مصابين بالجنون ، وأنهم بفضل ما كان يترا آى لهم من الخيالات ثبتوا على دماويهم وأصروا عليها ، فتغلبت إرادتهم على إرادات الجماهير ، فأشد ركاكة من الشبهة المتقدمة ، وقد برهنا على ذلك في الفصل السابق .

وإذا أضفنا الى هذا أذ العالم المسمى العلمى فى شغل متواصل اليوم من دراسة الشخصية الانسانية واتصالاتها النفسية بالعالم الروحاني ، قرُب للعقول فهم النبوة ، وعُقِل اتصالها من أشرف نواحيها الباطنية بالكائنات العلوية ، التي يتنزل عليها من علم الله ما تستطيع أن توصله لتلك الأرواح النبوية .

هذا تحليل علمى له أصل راسخ فى المعلومات العصرية التي أصبح لا يتارى فيها إلا من يجهل وجودها ، ولم يعمى بالامام بها .

وقد اتفق أن بين يدي الساعة كتاب (إرادة الاعتقاد) للفيلسوف المشهور (وليم جيمس) مدرس البسيكولوجيا فى جامعة (هارفارد) بأمريكا ، ترجمه الى العربية حضرة الأستاذ الأسمى الدكتور محمود حب الله مدرس الفلسفة وعلم النفس بكلية أصول الدين ، وتفضل باهداء نسخة منه الى ، فرأيت أنه يحسن بى أن أستشهد به على صحة ما أقوله من أن البحوث الروحانية قد بلغت شأوا بعيدا من السلطان على عقول العلماء فى هذا العصر ، فقد جاء فيه قول الأستاذ وليم جيمس : « إني أعتقد أن كل من يلمن الى مثل هذه المسائل التي يعتز بها الروحانيون ، ويفكرون فيها على نحو علمى ، فانه يكون فى خير مركز يسمح له بخدمة الفلسفة ، وإنه لقال حسن أن نعلم أن كثيرا من العلماء فى مختلف الاقطار يتجهون الآن هذه الوجهة » .

ثم أخذ بدحض قول بعضهم إن الجماعات التي تعنى بهذه المسائل من أهل السذاجة فقال : « نظرة واحدة لأعضائها تكفى لدحض هذا الرأي . فالرئيس هو الأستاذ (سيجوك) المعروف بسبب أعماله الأخرى بأنه أكبر ناقد عنيف ، وأنه أكثر العقول فى انجلترا تشككا . وأحد وكلائها هو النابه البصير آرثر بلفور ، ونائبها الثانى هو ذلك البصير أيضا الأستاذ لنجلى . ومن أعضائها العاملين رجال مثل الأستاذ لودج العالم الانجليزى فى الفلسفة الطبيعية ، والأستاذ ريشيه العالم الفرنسى فى علم وظائف الأعضاء . ونجد بين أعضائها كثيرا من العلماء الذين حازوا شهرة عالمية بسبب مقدرتهم العلمية » .

وبعد فهذا ختام السيرة المحمدية ، فأرجو أن أكون قد وفيت فيها بيمض ما ينظر منى ، وأحمد الله على توفيقه إياى لبلوغ هذه الغاية ، مستمداً منه القوة على المزيد ، إنه ولى الصالحين .

محمد فريد وجري

الشيعة

مثل القائم على حدود الله والواقع فيها

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقلوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعاً » رواه البخاري .

تمهيد وإجمال :

الحُد : المنع ، ومنه سمي البواب حُدَّاداً ، وكذلك السجان ؛ والحاجز بين الشيئين ، لثلاً يَخْتَلِطُ أحدهما بالآخر أو لثلاً يَتَعَدَّى أحدهما على الآخر ، ومنتهى الشيء ، وغايته ، لانه يردّه ويمنعه عن التّمام ، هذا في لسان العرب . وأما في لسان الشرع فقد أطلقت الحدود على العقوبات المقدرة الرادعة عن المحارم المغلظة ، كحدود الزنا والسرقة وشرب الخمر ، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لحبه أسامة : « أتشفع في حد من حدود الله ! » يعني في قطع المرأة التي سرفت ، وقصتها في الصحيحين (١) ، وأطلقت على محارم الله ومعاصيه ، لأن الله منع منها ، أو لانه جعلها نهايات لما أباح لعباده ، فلا يجوز لهم أن يعتدوها ، بل لا ينبغي لهم أن يقرّبوها ، لأن من رعى حول الحى يوشك أن يقع فيه ، وممّن هذا حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إني آخذ بحُجَزِكُمْ (٢) اتقوا النار ، اتقوا الحدود » قالها ثلاثاً . أخرجه الطبراني والبخاري . وأطلقت الحدود كذلك على جملة ما أذن الله لعباده فيه ، سواء أكلّفهم إياه أم أباحه لهم ، وليس وراء ما حدّ لهم مما أذن فيه إلا ما حظر ومنع . وقد تطلق على جملة ما شرع الله لعباده مما أمر ونهى ، وأحل وحرم ، ومنه قوله تعالى في الثناء على المؤمنين الصادقين الذين اشترى من أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة : « الأمرون

(١) وانظرها في المجلد التاسع من ٣٠ من هذه المجلة .

(٢) المراد مانعكم وحافظكم من الهلكة ، وهو من الكشايات البديعة . وأصل الحجة معقّد الازار

بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، ونرى أن هذا أنسب المعاني الأربعة هنا وأولاهها بالمراد في هذا الحديث (١) .

والقيام على حدود الله : رعايتها وحفظها ، وإحلال ما أحل وتحريم ما حرم منها ، ويتمثل ذلك جليا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير . والوقوع فيها : التهاون بها والتردى في مخالفتها . والاستهزام على السفينة : الاقتراع بضرب السهام ليأخذ كل نصيبه منها . وجمهور العلماء على جواز القرعة والاحتكام إليها ، ولذا استدلل البخاري بهذا الحديث على القرعة بين الشركاء عند القسمة . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفرا أفرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، وليس هذا بالنسب فيها (٢) .

والأخذ على اليد : المنع ، يقال أخذت على يد فلان إذا منعتة عما يريد ، كأنك أمسكت يده .

بيان وتفصيل :

يمثل النبي صلى الله عليه وسلم هداة الأمة وقادتها ، وأولى الرأي فيها ، من العلماء العاملين ، والحكام المصالحين ، والحكام الراشدين ، بمن يركبون أعلى السفينة ويُسرفون على من تحتهم من الأوشاب والأخلاق ، ومن يخشى منهم أن ينعشوا في أسفل السفينة فسادا أو يحدثوا بها حدثا ، فيهلك من فيها جميعا . اللهم إلا أن يراقبهم أولئك عن كشب ويفطنوا لعيثهم وفسادهم ، ويأخذوا على أيديهم كما يأخذ الأب الرحيم على يد ولده الطفل وقد هم أن يلعب بالنار فيحرق نفسه وأهله في غرارة وسذاجة ؛ وكما يحول الوصي الصالح بين السفينة وبين شهواته الجامحة ورغباته الطائشة ، وقد أخذ المال يبدده يمينا وشمالا وهو لا يقدر سوء العاقبة ولا يحسب لنفسه ولا لذويه حسابا .

وإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه لا يُعنى العامة والمفسدين في الأرض من تبعة الأثم وعاقبته ، فانه بلا ريب يحتل الخاصة وأولى الأمر أكبر نصيب منها ، فعليهم أن يضربوا على أيدي المعتدين ، وأن يدعواهم إلى التي هي أقوم ، وألا يمكنهم من العيث والفساد ، والتهاون بحدود الله وشرائعه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فإن هم فعلوا أيدهم الله وسددهم ، وفاز الفريقان بالأمن والطمانينة والسعادة في الدارين ، وإن هم قعدوا

(١) أطلنا بعض الشيء في تفسير الحدود لأهميتها وكثرة ورودها في الكتاب والسنة ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى لسان العرب ، وإلى « جامع العلوم والحكم » لابن رجب .

(٢) وقد وفي الكلام على القرعة وحكمها وكيفية ابن القيم في كتابه « الطرق الحكيمة » .

عن هذا الواجب ، وألقوا جبل هؤلاء الضالين على فارهم ، وتركوهم وما أرادوا ، هلك الفريقان جميعا وباءوا بغضب الله وسخطه في الدنيا والآخرة : هؤلاء بما كسبت أيديهم ، وأولئك بسكوتهم على المنكر ورضاهم عنه ؛ وقد قال تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » حذر عباده جل شأنه أن يقعوا في بلاء المعصية وعقوبتها العامة التي تحرف مرتكبها والساكت عليها ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما : أمر الله عز وجل المؤمنين ألا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم ؛ وروى أبو داود عن عدى بن عميرة السكندى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » .

ومن البلاء العامة — ونعوذ بالله منها — أن تشيع في الناس شائعة السكوت على المنكر بل الرضا عنه والطمأنينة اليه ، حتى لقد أوشك أن يكون المعروف منكرا والمنكر معروفا ؛ يقول الضعيف ليس لي من الأمر شيء ، (يقول القوي نحن في زمن الحرية ! وأكل امرئ وما يختار لنفسه ! وهكذا ضاعت الأمة بين اثنين كان عمر رضى الله تعالى عنه يبرأ إلى الله منهما : جلد فاجر ، وضعيف ثقة ! وكان حقا على الفريقين أن ينظروا في مغبة السكوت عن المنكر وسوء عاقبته وأنها لا تقف عند هلاك الظالمين خاصة . وإذا كان من القسوة أن يترك المرء غيره للهلاك وهو قادر على دفعه عنه ، فمن الحق والسخف أن يهلك نفسه طائما غفارا !

وإن لنا في الذين كفروا من بني إسرائيل لعبرة ؛ لعنهم الله على لسان أنبيائه (مقنهم ، بتمديهم حدود الله ، وسكوتهم على المنكر حتى باض وعشش وأفرخ ، وانتشر في الأرض فلاها ظلاما وظلاما وزورا وبهتانا ! قص الله ذلك على رسوله : وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم لآمته ، حتى لا يفعلوا فعلهم فيكونوا مثلهم ، ثم ليعلنوا أن النهي عن المنكر حفاظ الدين ورباط الآداب والفضائل ؛ روى أبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما دخل الجنة قص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلتقي الرجل فيقول يا هذا ، اتق الله ودع ما تصنع ، فانه لا يحل لك ؛ ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ؛ فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ثم قال صلى الله عليه وسلم : « كلا والله ، أنأمرن بالمعروف ونهون عن المنكر ، ثم لناخذن على يد الظالم ولناؤطرنه على الحق أطرا (١) ولتقصُرْنه على الحق أقصرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضهم ببعض ثم يلعننكم كما لعنهم » .

(١) أطره من باب ضرب ونصر : ثناه وعطفه ، فالجمله الثاقبة تفسر .

المشكلة الفلسفية العظمى

التأليه العقلي

- ٢٦ -

المظهر التنسكي لفكرة الألوهية

تنسك الهنود المصريين

تمهيد :

ينبغي أن نعرف بديا ، كما يلاحظ الكاتب الفرنسي « رومان رولان Romain Rolland » أن التنسك — سواء أوجد في الهند أم في الشرق الأدنى أم في الغرب — كان ولا يزال علما عظيما أسسته على تجارب العصور الثرية بالروحانيات عقليات نادرة وهبتها السماء عبقریات متفوقة في التحليلات النفسية الشخصية ، ولكن التحليل في الشرق الأدنى وفي الغرب يفوق في الدقة

ولقد رأينا من آثار غضب الله — وعياداه — كالذي رأى بنو إسرائيل أو قريبا منه ، فاللهم توبة وهداية ، إنك على كل شيء قدير .

وطائفة أخرى تتباطأ عن المنسك أن تدافعه وتنتهي عنه مستندة الى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وحسبنا أن نذكرهم في هذه الآية بما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، إذ صعد على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس : إنكم لتتلون آية من كتاب الله سبحانه وتعدونها رخصة ، والله ما أنزل الله تعالى في كتابه أشد منها « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » الآية والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعممنكم الله تعالى منه بعقاب .

فالترخيص في عدم النهي عن المنكر بهذه الآية وضع لها في غير موضعها كما جاء في رواية أخرى عن الصديق رضي الله عنه ، وإنما يلزم المرء نفسه بعد أن يؤدي ما فرض الله تعالى عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الخير .

أما بعد ، فانه لن تقوم لامة قائمة إلا إذا تعاضدت وتآقرت وتعاونت على البر والتقوى ولم تتعاون على الإثم والعدوان ، وكانت كالبنيان يشد بعضه بعضا . هذا ما شهد به التاريخ وأيدته المشاهدات ، وهذا ما أقره العلم والاجتماع ، وهذا ما قرره من لا ينطق عن الهوى منذ أربعة عشر قرنا

طه محمد الساكت

المدرس بالأزهر

المشكلة الفلسفية العظمى

التأليه العقلي

- ٢٦ -

المظهر التنسكي لفكرة الألوهية

تنسك الهنود المصريين

تمهيد :

ينبغي أن نعرف بديا ، كما يلاحظ الكاتب الفرنسي « رومان رولان Romain Rolland » أن التنسك — سواء أوجد في الهند أم في الشرق الأدنى أم في الغرب — كان ولا يزال علما عظيما أسسته على تجارب العصور الثرية بالروحانيات عقليات نادرة وهبتها السماء عبقریات متفوقة في التحليلات النفسية الشخصية ، ولكن التحليل في الشرق الأدنى وفي الغرب يفوق في الدقة

ولقد رأينا من آثار غضب الله — وعياداه — كالذي رأى بنو إسرائيل أو قريبا منه ، فاللهم توبة وهداية ، إنك على كل شيء قدير .

وطائفة أخرى تتباطأ عن المنسکر أن تدافعه وتنتهي عنه مستندة الى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وحسبنا أن نذكرهم في هذه الآية بما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، إذ صعد على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس : إنكم لتتلون آية من كتاب الله سبحانه وتعدونها رخصة ، والله ما أنزل الله تعالى في كتابه أشد منها « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » الآية والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم الله تعالى منه بعقاب .

فالترخيص في عدم النهي عن المنكر بهذه الآية وضع لها في غير موضعها كما جاء في رواية أخرى عن الصديق رضي الله عنه ، وإنما يلزم المرء نفسه بعد أن يؤدي ما فرض الله تعالى عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الخير .

أما بعد ، فانه لن تقوم لامة قائمة إلا إذا تعاضدت وتآمرت وتعاونت على البر والتقوى ولم تتعاون على الإثم والعدوان ، وكانت كالبنيان يشد بعضه بعضا . هذا ما شهد به التاريخ وأيدته المشاهدات ، وهذا ما أقره العلم والاجتماع ، وهذا ما قرره من لا ينطق عن الهوى منذ أربعة عشر قرنا

طه محمد الساكت

المدرس بالأزهر

والتعمد نظيره في الهند، بينما أن الجوانب البدنية في القيادة النفسكية تكاد تكون ضئيلة الأثر .
ويبدو أن الغربيين والشرقيين الادييين بمنحسرون من أن يكرسوا للجسمانيات مسكانا مهما
ضؤل ضمن وسائل الاتحاد بالآله ، إذ أن هذا الاتحاد عندهم لا يمكن أن يكون إلا روحانيا
مجردا عن كل علائق المادة ، وهم لهذا إذا أرادوا اقتحام لجة الانجذاب المنتهية بالغيوبة
تركوا أبدانهم أو برازخهم عند شاطئها .

أما التنسك الهندي فليست الحالة فيه على هذه الصورة ، إذ أننا — رغم أن سلطان التجرد
لديهم عظيم عميق — نشاهد أن الشؤون العقلية عند هؤلاء القوم قوية الانغراس في الأجسام
بهية تلوح عليها الجراة ، غير أنه يجب علينا أن نشير الى أن منح البدن أهمية في التريض
الهندي لا يعدو استخدام أعضائه كوسائل للوصول الى الانجذاب ، فإذا وصلوا
إلى هذه الغاية — وهي ليست الأخيرة عندهم — فلا يعودون يسمحون للمادة بالتدخل ،
ومن ثم نحن نرى — رغم تحذير « فيفيكا ناندا (١) » مريديه من الانفعالات الحسية في حالة
الانجذاب — أن الوسائل البدنية لتحقيق السير في طريق الاتحاد بالآله كانت على ممر المصور
مناهج معدة ومعترفا بها ولم يكن على كل من أراد الرياضة إلا أن يتبع هذه الخطط المرسومة
التي تظهر المتأمل في التنسك الهندي على معرفة واسعة بالوظائف العضوية في الجسم البشري
ولو أنها مؤداة باصطلاحات غريبة عن العلم الحديث ، ومن هذا يبين أن الرياضيات النفسكية
ليست في الهند كما هي في الغرب والشرق الأدنى انعطافا شخصيا مقصورا على المصطنعين الذين
شاءت لهم السماء أن يسلكوا هذه السبيل ففطرتهم على الاستعداد لها ، وإنما هي مدرسة
فاتحة أبوابها للجميع ، وفيها يجد الراغبون منهج الصعود إلى أعظم المذاهب حقا من الميزات
العقلية مشتملا على تمرينات تنفسية منظمة يظهر منها أن وضع الجسم على هيئة خاصة ومتابعة
التنفس : زفيره وشهيقه أسلوبا معينيا يشغلان في الوصول الى الغيوبة الأولى منزلة لا تقل
أهمية عن منزلة القواعد الخلقية . ومن مجموعة هذه الالتزامات الروحانية والبدنية يتألف
القانون الذي يصلح النفوس الشاذة ويرد العقول الجامحة الى النظام وبحول دون رد الفعل
الآتي من لدن العقل الباطن ، ومن أجل ذلك كان في الرياضة الهندية شيء غير يسير من الخطر
على الصحة والحياة لا يستهان به ، فصعود الدم من أدنى الجسم الى أعلاه أثناء التمرينات يحدث
نارة ضغطا في العيينين ، وأخرى احتقانا في الحنجرة ، وثالثة احمرارا في جلد الصدر يشبه
الحروق وغير ذلك ، بل قد روى عن « راما كريشنا (٢) » الناسك الهندي المعصرى أن الدم

(١) فيفيكاناندا هو ناسك هندي شهير ولد في سنة ١٨٦٣ من أسرة أريستوكراتية بكلكتا من طبقة
إكسأتريا وتوفى في سنة ١٩٠٢

(٢) راما كريشنا هو ناسك هندي فقير ولد في باليجال في سنة ١٨٣٦ . وكان شديد الورع والتقوى وله
عدد وافر من المريدين وقد توفى في سنة ١٨٨٦

كان يقدر من جسمه حين يكون في غير ربه واتحاده مع الإله « كريشنا » . ولقد كانت هذه الفسوف كلها أو بعضها بمثابة الطبع الذي كان الرعماء يميزون به المخلصين عن الدجالين من مرديهم .

لمحة تاريخية خاطفة :

يعرف المعنيون بدواسة الحياة المكرية أن تاريخ العقل الهندي الذي اجتاز من عمر الزمن آلاف السنين هو تاريخ شعب وقهر العدد متجه صوب غاية جليلة وهي الظفر بمعرفة الحقيقة العليا أو الحقيقة الإلهية . ولما كانت المجرعات الخالصة لا تلتئم مع طبيعته فقد جيل الهنود على استمارة وسائل حسية لادراك الحقائق المجردة بمعنى أنهم لا يرضون بأقل من أن يسموا الفكر ويروها وبذوقها ويدسوها إذا سمحت بهذا طبيعة الفكر ، ولذا كانت كل تلك التجارب الذاتية التي زاوها أولئك النساك البصيريون والتي استوعبت عدة عصور قد جمعت وسجلت ولقنها المريدون على مناهج أخرى تختلف عن مناهج الغرب والشرق الأدنى ، فنذ القرن السادس قبل المسيح وجدت في الهند مذاهب تنسكية كذهب اليوجيين القدماء الذين كانوا يعيشون عيشة زاهدة منعزلة عن الحياة العامة لا يطمحون إلى عرض مما نموج به الدنيا حولهم ولا يثأثرون بأوهام اختلاف الطبقات ، وغايتهم من هذا الزهد هي التخلص من أسر المادة دون أن يستعينوا في هذا إلا بقوام الخاصة ، ولا يعتمدوا إلا على أنفسهم ، فكانوا ينطوون على ذواتهم ويركزون إراداتهم ليقفوا كل نشاط ، وهم يرمون من هذا إلى الاستيلاء على هوياتهم وذلك الاستيلاء هو الذي يمنحهم السعادة التي لا يلحقها الكدر من أية جهاتها ، ويحقق لهم التغلغل في مبدأ من مبادئ الحياة بحسبون أنه مبدأ الحياة العامة (١) .

ولما اعتنق اليوجيون مع الزمن ديانة البراهمانية وصاروا أحد أركانها الهامة وعواملها الفعالة استطاعوا أن يؤثروا في البوذية وأن يطبعوا أكثر المدارس الفلسفية والدينية الهندية في مختلف العصور بطابع التنسك أو أن يتركوا على الأقل في مظهر من مظاهرها أثرا بارزا . وأكثر من هذا أن « باتانجالي » في القرن الرابع بعد المسيح قد أحدث في هذا المذاهب مادة جليلة الخطر كان لها شأنها في تاريخ الفلسفة الهندية ، وغايتها المثلى هي تحقيق الوجود المطلق في ذوات أشياعها أو تحقيق اتحادهم به ، وهذا يقتضي بالضرورة الوصول إلى أقصى آواج القوة وأسمى أنواع المعرفة ، فإذا وصل الزاهد اليوجي إلى أعلى مراتب الغيبوبة انمحت بالنسبة إليه عوائق الزمان والمكان ، لأن المبدأ هو متى تحرر الكائن من قيود ذاته تخلص من قيود العالم .

ويلحق الأستاذ « ماسون أو رسيل Masson - Ourcel » على هذا بقوله :

إن ذلك التنسك اليوجى يجمع فى تجربة واقعية بين الزهادة العملية البدائية وأعظم أنواع الطموح التى تصبو إليها الروحية ، وفوق ذلك فإنها — تحت ستار التخلّى عن الذات — تخفى تلك الكبرياء الهائلة التى تتمثل فى محاولة امتلاك الطبيعة دون أن تنزل لها عن حرمتها .

فرضت اليوجية إذاً مذهبها التنسكى على جميع البيئات الهندية المتمذهبة ، وقد كنا نود أن نتمقب هذه الآثار وتطوراتها الزمنية لدى جميع المذاهب ، ولكننا لما كنا نرى هنا الى تتبع المظهر التنسكى لفكرة الألوهية ولم نكن نقصد دراسة الزهادة الهندية بوجه عام فقد أردنا أن نقصر على إلماعة سريعة الى التنسك العصرى

طريقتنا التنسك الهندى :

إن إحدى الحقائق الدائمة فى بلاد الهند منذ العصور الغابرة تارة فى صورة محددة ، وأخرى فى صيغة مختلطة معقدة والتى اعنقتها كل المذاهب الهندية ما عدا البوذية هى أن جميع ما يوجد لا يوجد إلا بالواحد العام الذى لا ينقسم وهو براهمان ، ففيه تنشأ كل الصور المتباينة للموجودات الكونية ، ونحن لسنا سوى نفوس فردية تؤلف بعض أجزاء العالم الذى ندرك منه مظهر التعدد والتغير ونمضو إليه خطأ نعت الحقيقة المستقلة ، وما دمنا لا نصعد الى معرفة براهمان الأواحد ، فإن « ميا » أو الوهم Maya ou l'illusion سيضلنا ويحملنا على أن نتخذ كحقيقة ما ليس إلا خيالاً طابراً ، وإذاً ، فيجب أن نذجو بأنفسنا من أمواج الوهم التى تشلنا وأن نرفع الى النبع الحقيقى لسكى نصل الى شاطئ السلام ، وتلك هى غاية اليوجيين المتنسكين الذين يتبعون القواعد القاسية والأوامر المشددة التى تحدثنا عنها آنفاً . وللوصول الى هذا الهدف طريقتان ، إحداهما طريقها المعرفة بوساطة السلبية التامة ، وتدعى بطريقة « الجينيانا » la Ignana والآخرى طريقة المعرفة بوساطة اليقين المرتقى وتدعى بطريقة « الباكتا » la Bhakta وسنبسط هاتين الطريقتين فى الكلمة الآتية بسطاً علمياً

فالى الملتقى

الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية

حياة خلد بن الوليد

خلد بن الوليد

- ٣٠ -

العبثيات لا تعرف الحديرد ، ولا تعترف بقيمة الحواجز المادية التي تصادفها في طريقها إلى غاياتها النبيلة ، فصارمات المزائم عند العباقرة أمضى من صوارم المرففات ، وبطل الإسلام خلد رضى الله عنه واحد من أفذاذ العباقرة الذين استنارت صفحات التاريخ بأسمائهم ، وقد كانت مراقبه في حياته كلها نسواهد على ما تستطيع أن تفعله العبقرية مما يراه سواد الناس أدخل في مراتب المستحيل ، وموقف خلد رضى الله عنه في سفره من العراق إلى الشام بحفاله وأثقالها بعد تلك المغامرة التي خرج فيها إلى الحج ثم عاد إلى الحيرة فدخلها مع ساقه الجيش ، من أعجب ما رواه التاريخ من مغامرات القواد والأبطال .

جاء كتاب أبى بكر إلى خلد يعاتبه على ما كان منه من مخاطرة قاسية ، ثم هنأه على ما أصاب من توفيق الله ، وانتهاز الصديق هذه الفرصة الموانية ورمى الروم بسيف الله لينسيهم وساوس الشيطان ، وهذا لون من الأدب الرفيع أخذ به الصديق قائده البطل بعد أن سجل له جلائل عبقريته بقوله « سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك » ، فانهم قد شجوا وأشجوا ، وإياك أن تعود لمنأى ما فعلت ، فانه لم يشج الجموع من الناس شجبك ، ولم ينزع النجى من الناس نزعك ، فليهنئك أبا سليمان النية والخطوة ، وهذه سياسة حازمة حكيمة ، وكان الصديق رضى الله عنه أعرف رجل بالرجال ، وأخبر إمام بأمة ، وأمين خليفة في عزمة .

صديق خلد بأمر أبى بكر رضى الله عنهما ، بيد أنه خشى إن هو أخذ إلى وجهه سميت الناس أن يلقى أعدو مواجهة فيحبسه عن غياث المسلمين ، فإذا إذن ؟ فسكر خلد ورأى أنه لا بد له من أن يأتى الشام من طريق لا يحول بينه وبين المسلمين في أثناءه شيء ، ولو كان في ذلك أعظم المخاطر ، فليلق أسره إلى حذاق الأدلاء ومهرة ذوي المعرفة ، ولكنهم جميعا حذروه وخوفوه على نفسه وجيشه لأنهم لا يعرفون إلا طريقا واحداً ، الراكب القذلو سلكه لكان مغرراً بنفسه ، فكيف بهذه الجحافل وأثقالها ؟ ومتى خضع خلد للمقبات ؟ فأبى على الأدلاء إلا أن يكون ما يريد ، ثم ليكن ما يريد الله ، وليس المعجيب أن يعزم خلد فيعقد في عزمه ، ولكن المعجيب أن تمرى روحه القرية الى جيشه فيستجيب له ثقة في يمن نقييته ورعاية الله له ، وهو

إذ يقول لهم مشجعاً « إن المسلم لا ينبغي له أن يكثر بشيء يقع فيه مع معونة الله له »
يجيبونه بلسان صادق « أنت رجل قد جمع الله لك الخير فشأنك » .

نشط خالد وازداد قوة و يقيناً بما رأى من جيشه الباسل ، واستجاب إلى الخريث رافع
ابن حميرة الطائي وصدق الله في عزيمته ، ثم فكر في شأن المسلمين وقد ضايقهم شأن الروم
بالشام ، وعليهم أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، فرأى أن تكون بشرام بأمداده رسول
السكينة إلى قلوبهم ، ورأى إذ ولاه أبو بكر القيادة العامة أن يشعر أمين الأمة أنه أعرف
بمكانه وقدره بين المسلمين ، وأن رأيه إلى رأيه ينتهي ، فبعث كتابين أحدهما إلى عامة المسلمين
بالشام ، قال فيه « أما بعد فإن كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني بالمسير إليكم ،
وقد شمرت وانكشيت (أسرعت) وكأن قد نزلت عليكم خيلى ورجلى ، فأبشروا بانحجاز موعد
الله وحسن ثواب الله ، عصمنا الله وإياكم باليقين ، وأثابنا أحسن ثواب المجاهدين » وأرسل
ثانيهما إلى أبي عبيدة فقال فيه « أما بعد ، فاني أسأل الله لنا ولك الأمن يوم الخوف ، والعصمة
في دار الدنيا من كل سوء ، وقد أتاني كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني
بالمسير إلى الشام ، وبالقيام على جندها والتولى لأمرها ، والله ما طلبت ذلك قط ، ولا أردته
إذ وليته ، فأنت على حالك التي كنت عليها ، لا نعمصيك ، ولا نخالفك ، ولا نقطع دونك أمراً ،
فأنت سيد المسلمين ، لا تشكر فضلك ، ولا تستغنى عن رأيك ، نعم الله ما بنا وبك من إحسان ،
ورحمنا وإياك من صلى النار ، والسلام عليك ورحمة الله » .

ولا بد لنا من الالتفات قليلاً إلى هذه الآداب الرفيعة في حديث القائدين العظيمين ،
نفالده رضى الله عنه رأى أنه ولي القيادة العامة ، وفي الناس أبو عبيدة ، وهو من السابقين
الاولين ، وله بين المسلمين مقام ملحوظ ، فلا يسوغ في شرعة المكارم وأدب البطولة
الإسلامية أن يفاقصه خالد بالامر ، فليكتب اليه يطلعه على الحقيقة ويعرفه أنه لا يزال في مكانه
من سيادة المسلمين ، وأنه لا يقطع أمراً دونه ، وسترى أن هذا الأدب الرفيع بعينه عامل به
أبو عبيدة خالداً رضى الله عنهما حينما عزله به عمر بن الخطاب رضى الله عنه في مطلع خلافته ،
وكان هذا اللون من الأخلاق السكرية من أقوى دعام نهضة المسلمين الاولين ورفعة شأنهم .

قدم خالد الشام في عشرة آلاف ، فتم بهم عسدد المسلمين أربعين ألفاً ، وكان المسلمون
قبل قدوم خالد عليهم يقاتلون متساندين ، كل أمير منهم يقصد لناحية ليغزوها ويبث غاراته
فيها ، وكانوا إذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه ، وإذا احتاج أحدهم الى معاضدة صاحبه
وإنجاده سارع الى ذلك ، ولكن خالداً رضى الله عنه رأى كثرة الروم واجتماعهم وخروجهم
على تعبئة لم ير الناس مثلها فقال للقواد والأحرار « هل لكم يا معشر الرؤساء في أمر يعز الله به
الدين ، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه ؟ » فقالوا : نعم ، فخطب الناس خطبة

حامة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بملككم فان هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية ، على تساند وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبتهم » فقال الأمراء : فهات ، فما الرأي ؟ قال « إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا نتيأسر ولو علم بالذي كان ويكون لقد جمعكم ، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم ، وأنقع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله ، الله ، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان ، لا ينقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيد عليه أن دانوا له .

« إن تأمير بعضكم لا ينفعكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فان هؤلاء قد نهأوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إن رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فهللوا فلنتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعوني اليكم اليوم » فأمروه وهم يرون أنها كخرجاتهم وأن الأمر أطول مما صاروا اليه .

تسلم خالد رضى الله عنه القيادة ورأى تعبته الروم ونظامهم فخرج لهم على تعبته لم يعها العرب قبل ذلك ، فجعل جيشه كراديس (كتاب) وقال : ليس من التعبية تعبته أكثر في رأى العين من السكراديس ، وجعل على القلب أبا عبيدة ، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ، ومعه شرحبيل بن حسنة ، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان ، وجعل على كل كتيبة رجلا من الأبطال الشجعان أمثال القعقاع وعكرمة وعياض بن غنم ، ثم سمع خالد رجلا يقول : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد : ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لو ددت أن الأشقر — يعنى فرسه — براء من توجيه وأنهم أضعفوا في العدد .

أمر خالد القعقاع وعكرمة ، وكانا على مجنبتى القلب ، فأنشبا القتال ، فخرج القعقاع مسرعا يرتجز بقوله :

يا ليتنى ألقاك فى الطراد قبل اعترام الجحفل الورد
وأنت فى حلبتك الورد

ثم لحق به عكرمة وهو يقول :

قد علمت بهكنة الجوارى أنى على مكرمة أحامى
والتحم الناس وطارده الفرسان واقتتلوا قتالا لم ير الناس مثله ما
صالح إبراهيم عمره

لقب جماعة الشرف تهد به الحكومة الفرنسية

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

بنولى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق مشيخة الأزهر ، أصبح لهذا المركز الاسلامي الخطير عبقة عالمية صمت الأرض كلها ، وفي هذا من الشرف للأزهر ولمصر ما فيه ، وقد دل على ما لحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول من النظر البعيد ، والرأى السديد فى إسناد هذا المنصب الى فضيلة الامام الحالى ، الذى يحظى باحترام طالى منذ سنين .

وإننا لنسجل بكل سرور هذا الخبر الهام ، راجين لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الصحة الكاملة ، والكرامة الموفورة ، ومتعينين أن تسنح لنا فرص كثيرة للاشادة بشخصيته الكريمة الممتازة .

وبحسن بنا فى هذا المقام أن نأتى على تاريخ لقب جماعة الشرف الفرنسية فنقول :
إن جماعة الشرف الفرنسية أسسها نابليون الأول لما كان قنصلا أول لفرنسا فى ١٩ مايو سنة ١٨٠٢ .

وقد حرص نابليون أن لا يواجه أمة خارجة من ثورة طاحنة فى سبيل الحرية وهدم الامتيازات ، بعمل فيه معنى التمييز بين الناس إلا بعد أن درس الأمر مع كبار الرجال ، فأقره معه على قراره مكين .

ولما أعلن هذا العزم اختلفت فيه العقول ، وكتب فيه كل فريق بما يراه ، فلم تنتن الحكومة الفرنسية عن المضى فى مشروعها ، ولما تم وعرض على مجلس القريونا الذى كان له حق الفصل فى قرارات الحكومة ، أقره بأغلبية ٥٠ صوتا ضد ٣٨ ولما عرض على الجمعية التشريعية أقرته أيضا بأغلبية ١٦٦ ضد ١١٠

صاحب إيجاد هذه المرتبة التشريعية نظام تجرى عليه الحكومة فى منحها للمستحقين ولكنها كابدت تغيرات كثيرة ، فلنكتف بمعرفة الضرورى من نظامها الحالى :

لجماعة الشرف خمس درجات ، أولاها درجة شفالبيه ومعناها حامل لقب ، وثانيها ضابط ، وثالثها كوماندور ، ومعناها رئيس آمر ، ورابعها ضابط عظيم ، وخامستها درجة الصليب ، والدرجة التى منحت لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر هى درجة ضابط عظيم .

ويضم الى جماعة الشرف كل من خدم وطنه مدة خمس عشرة سنة فى وقت السلم بمجد ونشاط وأمانة سواء أكان من العسكريين أم المدنيين .

هل تحتاج البشرية إلى دعوات إصلاحية جديدة

— ٢ —

وتناولت تعاليم الاسلام حياة الانسان غنيا ، وفرضت في أمواله حقا لطائفة من المجتمع
عضهم الدهر بنابه ، فسلبهم المال والنفس وأقصاهم عن الاوطان والأهل ، أو أثقلهم الديون ،
أو ألزمهم الواجب القومي الدافع عن الوطن فأخلصوا أنفسهم له ، فأصبح أولئك جميعا في حاجة
الى ما يقيمون به أودهم ، ويسدون عوزهم ، ويفتدون به رقابهم ، ويستعينون به على بلوغ الأهل
والزياد عن الوطن ، وهؤلاء هم مصارف الزكاة الذين جمعهم الله تعالى في قوله « إنما الصدقات
للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن
السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » . فرضت تعاليم الاسلام على الأغنياء الزكاة ، وهي ضريبة
قليلة جدا في الأموال الرابحة لهذه الطائفة التي ذكرت ، ونذبت الى الاتفاق على غير هؤلاء
وفي سائر وجوه البر في آيات أخرى وفي مناسبات كثيرة كصدقة الفطر وكفارة اليمين وغيرها من
الكفارات ، ودعت الى التلطف في إيصال الصدقات الى الفقراء ومن اليهم ، فاستحسن أن
يكون في خفية حتى لا يجرح شعورهم ولا ينال من كرامتهم ، وفي القرآن الكريم « إن تبدوا
الصدقات فنعما هي ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ،
والله بما تعملون خبير » . لهذا التشريع غايته السامية ، فهو الى أنه تعاون بين الغنى والفقير يسد حاجة
الفقير ويخفف عنه مرارة الحرمان ويسل ضغنه على الغنى ، يؤمن الغنى على ماله ويقيه الأرزاء
فيه ، وهو بالتالي إصلاح لحال المجتمع وصيانة له من هذه الثورات الاجتماعية العنيفة التي
أصبحت تعانها الشعوب وتلاقى في علاجها الأهوال والكروب ، وتتمثل هذه الثورات في
مظاهرها ، فرة شيوعية ، ومرة اشتراكية ، وثالثة فاشية ، الى آخر هذه الثورات التي تهدد
الأمم في كيانها وسلامها .

وكما دعت الغنى الى التنازل عن بعض ماله الى الفقير رحمة به ، دعت الفقير الى الصبر
والتجمل وكرهت له الاحاح في السؤال والتذلل في الطلب ، وعزته فيما هو عليه بأن هذا من
تقدير الله حتى لا ينقلب لصا فاتسكا ومجرما سافكا . وفي القرآن الكريم « نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة
ربك خير مما يجمعون » .

وفي الاثر عليك بالياس مما في أيدي الناس فانه الغنى ، وإياك والطمع فانه الفقر الحاضر .

وتناولت تعاليم الاسلام حياة الانسان عاملا ، فدعته الى إتقان العمل والوفاء بالوعد وتجنب الخيانة والغش ، وعدت الغاش والحائن شادا عن الجماعة الاسلامية . وفي الأثر : من غشنا فليس منا . وكلنا يعلم أثر الأمانة في نجاح الأعمال . وما تخلف المسلمون عن ركب الأمم إلا لغفلتهم عن الأمانة كأكبر عامل من عوامل النجاح . وحياته عاطلا فندبته الى العمل وألحت عليه في الدعوة ، وكرهت له أن يخلد الى البطالة ويتمرض بالصدقات وهو قادر على أن يعمل لقوته وقوت من يعول . وفي الحديث : « والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه » . وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم العمل للحياة خيرا من بعض ضروب العبادة ؛ أكثر بعض الصحابة من الشاء على رجل يحضر منه فقالوا : إن فلانا يصرم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر ، فقال : أبكم يكفيه طعامه وشرابه ؟ فقالوا كلنا يا رسول الله ، فقال : كلكم خير منه .

وتناولت تعاليم الاسلام حياة الانسان جاهلا فقرضت عليه أن يتعلم من العلم ما يصلح به دينه ودنياه ، ولم تنصره على لون من العلم بل دعت اليه بالاطلاق . وفي القرآن الكريم « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وفي الحديث « طلب العلم شريفة على كل مسلم ومسلمة ، وفي المأثور : « اطلبوا العلم ولو بالصين » .

وتناولته علما ففتحت له أبواب العلم على مصاريحها ليعرف أسرار الله في خلقه ، وليستنبط من هذه الأسرار القوانين العلمية التي تمهل له سبل العيش وترفعه عليه وسائل الحياة ، وأغرته بالاستزادة من العلم لا الى غاية . وفي القرآن الكريم « وقل رب زدني علما » وأرشدته الى أن وراء ما يعلم آفاقا فسيحة من العلم حتى لا يغتر بما علم . وفي القرآن الكريم « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ورسمت للعلماء أسس العلم الصحيح وهي البراهين التي توصل الى اليقين لا الظنون والأوهام التي لا تقف في وجه البحث الصحيح . وفي القرآن الكريم « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا » . ولا تقف ، ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولا .

وتناولت تعاليم الاسلام أحوال الانسان في زيارته ومطعمه وملبسه ومجلمه وحديثه ، ووضعت له فيها أسس مبادئ الذوق واللياقة في هذه الأحوال ، فأرشدته الى أن يستأذن عند الزيارة فيؤذن المزور بأي وسيلة من وسائل الاذن ليعلم المزور بمكان الزائر فيصلح شأنه ويهيئ منزله ، وكرهت أن يهجم الزائر دون إذن حتى لا تقع عينه على ما يكره ، وندبته الى التخفيف في الزيارة تفاديا من السامة والتنظيمة ، والى تكرار الزيارة في مواعيد منظمة أكثرها ثلاثة أيام ليطمئن على أخيه ويعينه فيما عسى أن يكون قد ألم به . وفي الحديث « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » وأرشدته الى آداب الحديث فدعته الى أن يخفض من صوته

ويتمهل في حديثه ، ولا يؤثر أحد الجالسين بالحديث دفعا للريبة واجتنابا للوحشة . وفي الحديث « لا يتناجى اثنان دون الثالث » فأوصت بكتان ما ينبغي كتمانها . وحرمت النجاسة بالحديث والاعتياب فيه . وأرشدت الى الأدب في الآكل وحدث التخفيف فيه دفعا للمرض وتجملا بالعفة واستعانة على للعبادة ، وكرهت أن يذم الآكل ما يكره فإن انتهى أكل وإن طاف ترك ، فقد يشتهي غيره ما يكره هو فلا يفضضه بذمه له .

وأرشدت الى ما يليق من اللباس للرجال والنساء ، فأوجبت أن يكون اللباس ساترا للمودة صونا للآداب ودفعا لفتنه وحرمت ، حتى الرجال من اللباس ما ينافي الرجولة ويدعو الى الترف والليونة كالحرير والذهب ، وأباحته ما وراء ذلك على ألا يكون للخيلاء والتفخر كما أباحته للنساء كل شيء من الزينة والنباس .

هذا عرض موجز لبعض تعاليم الاسلام في العقائد والعبادات والمعاملات ، وفي السياسة والآداب والأخلاق . وليس من المستطاع عرض كل ما احتوته الشريعة من التعاليم في هذه النواحي وفي غيرها ، ولكن من المستطاع أن نقول إنها كلها على هذا النمط من السمو ، وإنها تهدف الى غاية واحدة هي إسماد الفرد وإسماد المجتمع وتوفير حياة الاستقرار والأمن للبشرية عامة ، وإنها أسس صالحة لأرقى مدنية تتطلع اليها الانسانية لا ينقصها من مقومات المدنية الصحيحة شيء ، وإن ما يظنه بعض الناس من خصائص المذنيات الحديثة جهلا بالشريعة قد أرشدت الشريعة اليه أو أشارت الى أصوله ، وليس العالم بحاجة الى دعوات جديدة للإصلاح ، وإنما يحتاج العالم لإصلاحه وإنقاذه مما يناوره من المحن والآلام بما تورط فيه من مادية جامحة دون مبالاة بقواعد الأخلاق والآداب ، الى التذكير بما في الشريعة الاسلامية من أسس الإصلاح التي جاءت بها وبما هو الغاية منها .

وكل دعوة الى الإصلاح بجانب هذه الدعوة الالهية فإنما مبعثها الجهل بما فيها من خير للعالم . على أن المهد بهذه الدهرات الإصلاحية ألا تكون خالصة ولا يتوافر للدعاة بها عناصر النجاح وأخصها الاخلاص والنزاهة ، والمعروف بالتجارب أنها تحاط غالبا بالفرض الشخصي أو الباعث السياسي وإن اتخذت لونا دينيا أو لونا اجتماعيا . لهذا قل أن تنجح ، وليتها إذا لم يقدر لها التوفيق تسلم الأمم من آثارها السيئة . وكلنا نرى أنها في أغلب الأحيان حامل قوى في تمزيق الأمم وتقسيمها الى طوائف وشيع تستمر بينها نار العداوة والبغضاء ، وليس هذا بالنسبة الى الأمم بعضها الى بعض ولكن بالنسبة الى طوائف الأمة الواحدة . والملاحظ أنه كلما كثرت في الأمة دعوات الإصلاح أيا كانت نواحيه ، اشتد مرضها وتفاقت عليها ونخر في عظامها داء الانحلال والتفكك لأن بواعثها غالبا بواعث شخصية أو سياسية وإن لبست ثوبا دينيا براقا .

قد يقول قائل : إذا كانت تعاليم الأديان وبخاصة تعاليم الإسلام كافية في إصلاح البشرية وتهديها إلى الحياة الرافهة فلماذا نرى أثرها قد تخلف عنها ؟ ولماذا نرى البشرية الآن على ما هي عليه من صراع وتطاحن ، وتنتهز كل أمة الفرصة لتفتك بأختها ما ساعدتها الأسباب وأسعدتها الأحوال ؟

ولهؤلاء أقول : ليس العيب في هذا عيب الشريعة ولكن الوزر على هؤلاء الذين انحرفوا عنها وعادوها وظنوا جهلاً أنها تقف بعيداً عن مقتضيات الرقي الصحيح ، ومثل الشريعة الإسلامية للبشر مثل الدواء الناجع يصفه الطبيب للمريض ولكن المريض لا يتعاطاه تهاوناً به ، فتشدد علته ويمتد مرضه ، فلا يكون العيب إذن عيب الطبيب ولا عيب الدواء ولكن العيب كله عيب المريض المتهاون في تعاطي الدواء .

ويزداد الأمر وضوحاً لهؤلاء أن نذكرهم بحال الأمة الإسلامية في صدر الإسلام وما بلغته من مجد وما بهرت به العالم من نهوض علمي وإصلاح سياسي واجتماعي في زمن وجيز لا يزال مثار عجب العلماء والفلاسفة ويحل بحتم ودراستهم ، وليس له من سر في الحقيقة إلا أن هؤلاء المسلمين السابقين أخلصوا لدينهم وأخذوا بأحكامه وآدابه في جد وإيمان فقادهم إلى مواطن المجد وأزلم منازل السيادة والعز .

أمة ينتهي البنيان إليها وتقول العلوم والعلماء
كلما حنت الركاب لأرض جاور الرشد أهلها والذكاء
وعلا الحق بينهم ومما الفضل ونالت حقوقها الضعفاء
تحمل النجم والوسيلة والميزان من دينها إلى من تشاء
وتنيل الوجود منه نظاماً هو طب الوجود وهو الدواء
يرجع الناس والعصور إلى ما بين والجاحدون والأعداء

وليس أمام البشرية من سبيل إلى الرشاد والسلام إلا الدين ، والدين وحده هو الكفيل بما ينشدون من سلام ، وهو البلمع الشافي لجراح البشرية ، والدواء الناجع لأدوائها التي تنوعت وتفاقت ، وإن لم تسترشد بهديه وتستضيء بنوره فستظل الدهر في صماء ولن تشفى من داء ، وإن لم ترجع إليه طائفة وفي أنفس العقلاء والعلماء أمل فسترجع إليه مكرهة وبعد أن تعاني من صنوف البلاء . وكل دعوة إلى الإصلاح ليس سندها الدين الخالص والقصد التزيه فهي دعوة ضالة مضلة لن تجني الأمم منها إلا الشرور والآلام أيا كان قدر الداعي من علم أو فلسفة أو سياسة .

يقول الله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله ، على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله

أبو الوفا المرغني

وما أنا من المشركين ، .

في الاسرة الغزالية

أبو حامد الغزالي القديم

احتل أبو حامد الغزالي حجة الاسلام المشهور في تاريخ الفكر الاسلامي مكانة ممتازة لا يدانيها مكانة أى عالم آخر من علماء الاسلام المشهورين . حجبت هذه المكانة الممتازة شخصية أخيه الامام أحمد الغزالي (١) بالرغم مما كان لهذا الاخير من شهرة واسعة ، وفكر ممتاز في التصوف وتلامذة ومريدين كالمياجي وغيره .

ويبدو أن الغزالي قد أخفى وراء شخصيته العظيمة شخصية أخرى ممتازة في الاسرة الغزالية نفسها ، أو بمعنى أدق : هل تسم غزالي آخر يتسمى باسم الغزالي ويكنى بكنيته ، وينسب بنفسه ؟

سنجد الآن أنفسنا ، ونحن نعرض لاثبات المسلمين وجود هذا الغزالي الآخر ، أمام طرق من النقد الخارجى La critique externe للنصوص تثبت عبقرية المسلمين في الاستدلال التاريخي ، وملء الفجوات المختلفة ببراعة وطرافة ، حين ينقطع التسلسل التاريخي للوقائع أو للأشخاص .

ينقل الينا السبكي (٧١١ هـ) فقرة من طبقات الشيخ أبى اسحق الشيرازي (٢) كان يقرؤها على شيخه الذهبي (٧٤٤ هـ) وهاك نصها :

« وبخراسان وفيما وراء النهر من أصحابنا خلق كثير كالأودنى وأبى عبد الله الحلبي وأبى يعقوب الأيوردي والغزالي وأبى محمد الجويني وغيرهم ممن لم يحضرنى تاريخ موتهم (٣) . ويذكر السبكي أنه وصل الى هذا النص عن طريقين صحيحين مسندين الى أبى اسحق ويذكر أساندهما .

فن هذا الغزالي الذى يغير اليه النص ؟ هل ثم آخر غير حجة الاسلام المشهور أم هو بنفسه ؟ لجأ السبكي الى أستاذه العظيم الذهبي ، والذهبي أحد مؤرخي الاسلام العظماء ، يسأله وهو يقرأ عليه ، فأخبره الذهبي أن هذا زيادة من الناسخ ، فإنه لا يعرف غزالياً غير حجة الاسلام . ثم استبعد أن يكون ثم غزالي آخر ، لأن هذه نسبة غريبة يقل فيها الاشتراك .

(١) أنظر أحمد الغزالي — عالم منور في المدرسة الغزالية — مقال من مجلة الازهر — عدد ٣ سنة ١٣٦٢ . (٢) أبو اسحق الشيرازي ابراهيم بن على يوسف الفيروزابادي صاحب طبقات الفقهاء تولى سنة ٤٤٦ . (٣) السبكي طبقات النافعية الكبرى ٣٠ من ٣٥

ثم ينكر الذهبي أن يكون الشيرازي قصد بالغزالي هذا حجة الاسلام المشهور لأدلة ثلاثة : أولا : أن الغزالي المشهور مثل تلامذة الشيرازي فيبعد جدا أن يذكره . ثانيا : أن الشيرازي لم يذكر أقرانه كإمام الحرمين (٤٧٨ هـ) وابن صباغ ، فمن غير المعقول أن يذكر من هو دونهم . ثالثا : أنه ذكر اسم الغزالي قبل اسم أبي محمد الجويني ، والجويني شيخ شيخ الغزالي ، فإنه شيخ ولده إمام الحرمين شيخ الغزالي . ويضيف السبكي دليلا رابعا يوافق عليه الذهبي أيضا ، وهو أن الشيرازي ذكر أنه لم يحضره تاريخ موتهم ، وهذا دليل على أنهم كانوا قد ماتوا ، ولكنه لم يعرف تاريخ موتهم ، ومن الثابت القطعي أن حجة الاسلام (٥٠٥ هـ) كان موجودا بعد وفاة الشيرازي (٤٤٦ هـ) . وراجع السبكي أباه في هذا الأمر وكان إماما طالما ، فوافق الذهبي على ما ذهب اليه من أن كلمة الغزالي في النص السالف الذكر زيادة من الناسخ ، وذكر له أيضا دلائل تشبه دلائل الذهبي .

لكن السبكي يلجأ الى طريقة حديثة في البحث ، هي مقارنة النصوص من ناحية خارجية ، ويدحض بهذه الطريقة مسألة زيادة كلمة الغزالي هذه بواسطة ناسخ غير متبصر إحاطا نهائيا ، فيقرر أنه لم يقف على نسخة من نسخ طبقات الفقهاء للشيرازي وكشف عن هذه الكلمة إلا ووجدتها مسطورة فيه . ثم عثر أخيرا على نسخة عليها خط المؤلف أبي إسحق وقد كتب عليها بأنها قرئت عليه فوجد هذه الكلمة فيها ، وعلى هذا يثبت أن هذه الكلمة لم تكتب عبثا ، وأن الشيرازي يقصدها شخصا حقيقيا . فمن هو هذا الشخص ؟

بدأ السبكي البحث المضني في هذا المسألة ، وأخذ براجع الكتب المختلفة المتعددة ، حتى توصل أخيرا الى معرفة شيء عن هذا الغزالي ، فقد وقف على نص هام في تعليقه للإمام محمد ابن يحيى صاحب الغزالي في مسألة التلف بعد التمكن . ويسند الامام محمد بن يحيى رأيا في هذه المسألة إلى « الغزالي القديم » فانهى السبكي بهذا إلى أن هذا « الغزالي القديم » غير « الغزالي الجديد » حجة الاسلام المشهور .

ولكن من هو هذا الغزالي القديم ؟ إن النصوص صامته عنه . وقد رجع السبكي إلى كتاب الانساب للسمعاني وهو أوثق وأشمل مأخذ في هذا الباب ، فلم يعثر على شيء ، ولكنه عثر آخر الأمر على فقرة في ترجمة « أبي علي الفارمدي » تقرر أنه تفقه على أبي حامد الغزالي الكبير . يقول السبكي في بساطه وقد هزه فرح زائد أن وجد آخر الأمر بغيته : « فلما وقفت على هذا الأمر سر قلبي ، وانشرح صدري ، وأيقنت أن في أصحابنا غزاليا آخر » .

ومع أن السبكي وصل الى هذه النتيجة القاطعة بعد مثابة عجيبة ومعاناة دقيقة في التنقيب في المصادر ، فانه طفق يبحث عن الغزالي القديم في تواريخ الإسلام ، فلا يجده مذكورا ، إلى أن توصل أخيرا إلى ما انتقاه ابن الصلاح من كتاب المذهب في ذكر شيوخ المذهب للطوسي ، فرأى أن المطوي قد ذكر « أبا طاهر الزيادي وعظمه » ثم ذكر من

مخرجوا عليه كأبي يعقوب الأبيوردي وكأبي حامد أحمد بن محمد الغزالي « ويذكر المطوع أنه أي الغزالي هو « الذي أذعن له فقهاء الفريقين وأقر بفضلهم في المشرق والمغرب ، إذا جاور العلماء كان المقدم ، وإن ناظر الخصوم كان الفعل المقدم ، وله في الخلافات والجدل ورءوس المسائل والمذاهب تصانيف » .

نستطيع أن نستخلص من هذه النصوص :

أولا : أن هناك غزاليا آخر غير الغزالي المشهور . يقول السبكي « وقد وافق هذا الشيخ حجة الاسلام في النسبة الغريبة والكنية واسم الأب » ويقول ابن المرتضى « إنه لا يعرف بالغزالي إلا الشيخ وعنه الكبير » .

ثانياً : أننا وصلنا إلى اسم أبرز أساتذته واسم أبرز رفقاءه وهو الأبيوردي . ثالثاً : تبين لنا أن له تصانيف في الخلافات والجدل ورءوس المسائل والمذاهب . وهذه هي طريقة الفقهاء في التصنيف ونوع مصنفاتهم . ولكن لم يصل إلينا مع الأسف شيء من مصنفاته ولا من أهمائها .

رابعا : أن السبكي اعتبره فيمن توفرا بين الأربعمائة والخمسمائة .

نعود إلى مسألة أخيرة ، وهي صلته بالغزالي المشهور ، هل هناك صلة ما بينهما ؟ يقول السبكي « بلغني أنه عمه ، فقليل له أخو أبيه ، وقيل عم أبيه ، أخو جده ، ثم رجح السبكي هذا القول الأخير . أما ابن المرتضى فقد ذكر أنه عمه الكبير . ولكن يبدو أن كلام السبكي أرجح ، إذ أن ابن المرتضى نقل عن ابن السبكي مع تغيير ضئيل . ثم يذكر السبكي أن أساتذه الامام جمال الدين محمد بن محمد الجمالي ذكر له « أن قبر هذا الغزالي القسديم معروف مشهور بمقبرة طوس وأنهم يسمونه « الغزالي الماضي » وأنه جرب من أمره أنه من كان به هم ودعا عند قبره استجيب له » .

وبهذا يمكننا أن نقول إن هذه الأسرة الغزالية العظيمة أخرجت للإسلام ثلاثة من أعظم الأئمة ، وإن الدراسة التاريخية للأسرة الغزالية وللغزالي المشهور ، لتستفيد أكبر إفادة من إظهار هذه الأسماء المفقودة في تاريخ هذه الأسرة : شخصية أبي حامد الغزالي القديم ، وأحمد الغزالي شقيق الغزالي المشهور ، وصاحب الأثر الأكبر عليه في تصوفه ، إذ أن إظهار هذه الأسماء يعاون من ناحية على توضيح بعض الجوانب الخاصة بحياة الغزالي المشهور وأمرته ، وتبين عن تغلغل المنصر العقلي الممتاز في أفراد هذه الأسرة العظيمة التي شغل رأسها العظيم الأحقاب المتلاحقة حتى يومنا هذا . ومن ناحية قد يظهر لنا المجهول من كتب أحمد الغزالي ، والغزالي القديم ، فتعاون على كشف حلقات مفقودة في تاريخ الفكر الإسلامي ؟

على سامي الفسار

مدرس الفلسفة . كلية الآداب . جامعة فاروق الاول

لغويات

٤٤ - لم يبق عنده ولا درهم . لا أعطيك ولا كتابا :

هذا الأسلوب مما يقع في كتابات الناس . وهو مما يعنى تخريبه ، ويضيق اللغوى به . وكان بحسبهم لو وفقوا للميسور من القول أن يقولوا : لم يبق عنده درهم ، فإن جدت بهم الرغبة في التوكيد وساورتهم شهوة التشديد فليقولوا : لم يبق عنده من درهم . والناظر في الأسلوب ينلمس الفاعل أو المفعول فلا يجده ، ويتطلب المعطوف عليه فيعوزه .

وكان هذا الأسلوب دخل على الناس منذ أمد بعيد ، فها هو ذا الزمخشري - وهو العليم بالعربية المتنوّق فيها - يجرى على قلمه هذا النمط ، فيقول في الكشف في تفسير قوله تعالى : « ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام » : « حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة » . ولقد كنت على أن أنكر هذا النمط من الكلام وأركب متن التشدد فيه ، ولا آبه لقول الزمخشري هذا حتى هداني أستاذنا الشيخ محمد الحضر إلى أن مثل هذا ورد في محاوره جرت بين أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه وامرأة من شيعة أمير المؤمنين على رضي الله عنه . فقد روى الرواة أن معاوية رضي الله عنه حج فسأل وهو في مكة عن امرأة كنانية كانت تنزل الحجون ، وكانت ممن اشتهر بحب أمير المؤمنين على والتشيع له ، فحى بها إليه ، وبعد حوار طريف قال لها : هل لك من حاجة ؟ قالت : وتعمل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء ، فيها خلها وراعيها . قال : تصنعين بها (١) ماذا ؟ قالت : أغذي بالباها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأصلح بها بيني والمشار . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل على ؟ قالت : ماء (٢) لولا كصدا ، ومرمي ولا كاسعدان ، وفنى ولا كالك .

(١) ترى أن ماذا عمل فيها ما قبلها . وهو استئصال صحيح ، قال المداميني في شرح النسيب في الكلام على هذه الأداة : « وهي مخصوصة — يريد من بين أدوات الاستفهام — بجواز عمل ما قبلها فيها ، وكلام العرب على ذلك . وقد ذكر النصف — يريد ابن مالك — هذه للسألة في توضيحه للموضوع على مشكلات الجامع الصحيح ، واستشهد عليها بقول عائشة رضي الله عنها في حديث الألفك : أقول ماذا ؟ أفضل ماذا ؟ وقول بعض الصحابة : فكان ماذا ؟ وكتاب التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح طبع في الهند . وانظر حاشية يس على التصريح في الكلام على ماذا في مباحث الموصول .

(٢) هذه أمثال تقرب لشيء يكون فيه فضل وغيره أفضل منه . انظر كتب الأمثال وكمال المبرد

في أوامله .

٤٦ - الرآسة، الرياسة، الرئاسة :

يطبق المعنيّون بالعربية في هذا العصر - فيما أعلم - على إنكار الرئاسة مصدراً لرأس أى صار رئيساً ، ونفيها من حظيرة العربية . ثم هم بعد ذلك شريحان : ففريق يرى أن ليس مصدراً لرأس سوى الرآسة ، وفريق يرى أن من مصادرها الرياسة بالياء .

ومن الفريق الأول صاحب تذكرة الكاتب . فهو يقول في ص ٨١ : إن العوَاب أن يكون المصدر على فَعَمَالَة . وعذره في ذلك أن صاحبي المصباح والاساس اقتصرَا على الرآسة بالفتح .

والفريق الآخر يصححون الرياسة ، ويضيفونها إلى الرآسة فيما صح من مصادر هذا الفعل . وقد وجدوا مستندهم في الصحاح ومختار الصحاح والتاج واللسان .

ومن البين بعد هذا أن لا وزن لحظر الرياسة ؛ إذ وردت في هذه الأمهات . وعندى أن الرياسة بالكسر هو الأصل ؛ إذ هي ولاية ، وباب الولايات والحرف الفيمالة بالكسر ، وقد ورد (١) فيهما الفَعَمَالَة بالفتحة كالولاية والوكالة والدلالة ، فالرآسة داخلة على الرياسة متفرعة عنها . وقد غرّب هذا المصدر على فَعَمَالَة ، والوصف رئيس على فَعَمِيل ، صاحب أقرب الموارد فجعل من هذه المادة صيغة رَؤُس رآسة ، وما علمنا ذلك وارداً في دواوين اللغة ، وقد علمت أن الرآسة فرع على الرياسة . على أنك تعلم أن العرب قالت : سلم سلامة فهو سليم ، وما علمناهم قالوا : سلم .

وإن همي في هذا البحث أن أناقش رأى الفريق الثانى الذى ينكر الرئاسة ، ويقر الرياسة ، فقد كان يخالجنى الشك في هذا منذ حين ، وكنت أقول : إن الرئاسة لا محالة أنها هي الأصل ، فأما الرياسة فتخفيف لها . ومعنى هذا أن في الكلمة لغتى التحقيق للهمزة وتخفيفها ؛ فما بالهم بمنعون الأصل ويجوزون البدل ! وقلت لنفسى : إن بعض أوجه التخفيف للهمز التزمه العرب كما في بَرى وبُرى ومُمر ، فعسى أن يكون هذا من هذا القبيل . ولكنى رأيت العلماء قد توفروا على النص على ما كان من هذا الباب ، وما عهدتهم ذكروا منه الرياسة .

وسألت نفسى : مالذى حمل القوم إذاً على إنكار الرئاسة ؟ إذ لا بد لهم من حافز وداع إلى هذا الرأى الذى دانوا به . وقد بدا لى أن مرجع ذلك ما رأوه في المعاجم المطبوعة ، فلم يروا فيها الرئاسة ، فقالوا ما قالوا .

وعوّلت بعد هذا على مراجعة ما يتيسر من المخطوطات لدواوين اللغة عليها أن تنير لى السبيل .

(١) انظر شرح الرضى على الشافية في مبحث المصدر .

ثم قال : أما والله لو كان (١) عليا ما أعطاك منها شيئا . قالت : والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين (٢) .

أقول : إنى بعد هذا ركبت إلى تخريج الأسلوب وتصحيحه ؛ وذلك بأن يقدر التفاعل أو المفعول ، وهو المعطوف عليه ، فيقال في المثال الأول في التقدير : لم يبق عنده دينار ولا درهم ، أو عدد من الدراهم ولا درهم ، وإن المثال الثاني : لا أعطيك عدداً من الكتب ولا كتاباً ، وفي كلام صاحبة على رضى الله عنه : والله لا يعطينى جملاً ولا وبرة من مال المسلمين . فيقدر في كل تركيب ما يناسبه ويوائمه .

٤٥ - فلان يمثل الأزهرين في المؤتمر ...

يستعمل الناس هذا التركيب ، ويريدون أن فلانا ينوب عن الأزهرين ويتحدث عنهم ، ويقوم مقامهم . وقد جرى بعض المعلمين على إنكار هذا النمط من القول .

على أنه من العسير صرف الناس عنه ، وقد صار عتيقاً مطرداً في كتابتهم ، فكان مما يعنى اللغوي تخريجاً وتأويله إن كان له وجه من التخريج .

وزى في المادة تمثل المرء بين يدي الوالى إذا قام وانتصب . ولا بأس أن يقال من هذا : مثلت فلانا أى جعلته يمثل ويقوم . والتعمدية بالتضعيف قياسية عند كثير من النحويين . فيقال على هذا : فلان يمثل الأزهرين ، أى يجعلهم مائلين وحاضرين في اللجنة ممثلاً بمنوله وقيامه . والكلام بعد هذا على التشبيه ، أى يجعلهم كالأئلين . وقد ورد التفعيل لهذا المعنى ؛ فقد قالوا : سرج الله وجهه ، أى بهجه وحسنه ، وحقيقة ذلك أنه جعله كالسراج ؛ وقد قيل بذلك في قول الراجز : وفارحاً ومرسناً مسرجاً . ومن ذلك في غير المتمدى قووس الرجل إذا صار كالقوس في الانحناء من الكبر ، قال امرؤ القيس :

أراهن لا يحبين من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقووسا

ويرى بعض الفضلاء أن يجعل ذلك من قولهم : مثلت الشيء إذا جعلت له مثالا وصورة . فعنى تمثيل فلان للأزهرين أنه جعل لهم صورة ومثالا ، والمثال هو الممثل نفسه . وكلا التخريجين حسن جميل .

(١) أى لو كان المسئول عليا ، ويجوز لو كان على . وما في النص على حد قول الشاعر :

بنى أسد هل تلمون بلائنا إذا كان يوما ذا كراكب أشتا

(٢) انظر في هذه الرواية صبح الأعشى ج ١ ص ١٥٩ وما بعدها .

وقفت على أفعال ابن القطاع فوجدت فيها هذا النص : « رأس على القوم رئاسة : صار رئيسهم » هكذا رئاسة بالهمز في النسخة المخطوطة الشنقيطية المحفوظة بدار الكتب رقم ١٣ لغة . ورجعت بعد إلى كتاب أفعال ابن القوطية الذي هو أصل كتاب ابن القطاع والكتاب مطبوع في أوروبا طبعا صحيحا على وفق نسخة جيدة فوجدت فيه رئاسة هكذا بصورة الهمزة وبنقط الياء ، ومعنى هذا الوضع أن الكلمة تقرأ بالهمز والياء فيقال فيها رئاسة ورئاسة (١) : وقد عزز هذا أني رأيت في نسخة مخطوطة للصحاح مضبوطة جيدة رئاسة بهذا الوضع كما وجدت في ابن القوطية ، ورأيت فيه الذئب والبئر هكذا أيضا مما فيه التحقيق التخييف ، على حين أني رأيت فيه : « النائب الريح الشديدة تكون في أول المطر » بالهمز فقط دون نقط إذ كان لا يخفف مثل هذا بالياء العريضة بل بين بين كما هو معلوم . فبعد هذا وقر في نفسي أن الرئاسة بالهمز من مصادر رأس كالرياسة والرآسة .

ومما أذكره في هذا المقام أن هذا المصدر ورد في قصيدة ابن الرومي التي يفضل فيها النرجس على الورد إذ يقول :

أين الحدود من العيون نقاسة ١ ورئاسة ١ لولا القياس الفاسد

وتراه هكذا رياسة بالياء في أسرار البلاغة ص ٢٤٨ وفي أمالي القالي ج ١ ص ٢٧١ .
وتراه في ديوان ابن رومي طبعة كامل كيلاني : رئاسة ، وهذا صحيح عندي على ما بينت لك . والله أعلم ؟

محمد علي النجار
المدرس في كلية اللغة العربية

(١) النظر المطالع النصرة ص ١٤٨ من طبعة انتشار .

العطلة الصيفية

قررت إدارة المجلة أن تمتنع عن الصدور شهرين متواليين ، ثم توالي الصدور بعد ذلك في ثوب قشيب ورواء جديد ومادة أغزر ، والله الموفق .

الصبغ البديعي في اللغة العربية حياته الأدبية في العهد القديم

ما أصباغ البديع التي طرقها الأقدمون ؟

وقد آن لنا بعد هذا العرض الموجز الذي استدعاه المقام أن نتحسس أمثلة لهذه الألوان البيانية التي اختير لها فيما بعد اسم البديع أو اللطيف ، والتي طرقها القدماء : جاهليين وإسلاميين من غير أن يعرفوا لها هذه الأسماء ، مسارين الخطيب القزويني صاحب الإيضاح في الأنواع البديعية التي ألم بها فيه ، تاركين التشبيه وأنواع المجاز ، والكناية ، والالتفات ، وأنواع الإطناب التي اعتبرت في زمن غير قليل في مصطلح أصباغ البديع ، فانه لا سبيل إلى استقصائها وحصرها لوفرتها في الشعر القديم والقرآن الكريم والحديث الشريف وكثرة إطاقتها بها ، ولئلا يتشعب بنا البحث ويطول فينزل عن حصد المقبول إلى درك المملول إذا حاولنا ذلك .

هذا وسنأخذ أنفسنا بسرد الأمثلة وسوفها لكل صبغ بديعي حسب الترتيب الزمني : من الأدب الجاهلي أولا ، ومن القرآن أو الحديث ثانيا ، ومن الأدب الإسلامي إلى أوائل القرون الثاني الهجري ثالثا ، أو من أحدها إذا لم يعثرنا التنقيب على شواهد منها جميعا ، وليست بنا حاجة تدفعنا إلى التعرض لهذه الأصباغ بتحديد وتعريف ، أو شرح وتعليق ، فلكل أولئك مكانه بين حنايا القسم الثاني من هذا البحث ، كما أنه ليست بنا حاجة إلى الوقوف إزاء كل شاهد للتحليل والتبيين ، فتقديمنا الطابع العام الذي ينظمها جميعا في هذا العهد القديم عن ذاك يغنينا ، وهو حسبنا وكافينا .

فمن الأنواع الفطرية التي طرقها القدماء ، وفاضت بها قرائحهم ، ودفعت بها أفكارهم من غير عمد أو سبق إصرار ، بل من غير أن يعرفوا لها ميزة على غيرها من ألوان البيان :

(١) الطباق : كقول امرئ القيس الكندي :

مكر مفر مقبل مدبر مما كجود صخر حطه السيل من عل

طابق بين الاقبال والادبار .

وقول النابغة الجعدي (وهو مخضرم) مقابلا ، وقد نسب إلى الديلمي خطأ :

فتى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعدا

قابل : يسر وصديق ، يسوء والأعدا . ومن التدبيج قول عمرو بن كلثوم :

بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا

كنى ببياض الرايات عن عدم القتل ، وبحمرتها عن القتل .

ومن الطباق قوله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » مطابق بين الايتاء والتزع ، والاعزاز والاذلال . ومن المقابلة قوله تعالى « فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا » .

قابل الضحك القليل بالبكاء الكثير . ومن الطباق قول الفرزدق :

لعمن الاله بنى كليب إنهم لا يغدرون ولا يفون لجار
يستيقظون إلى نهيق حمارهم وتنام أعينهم عن الأوتار
طابق في الأول بين الغدر والوفاة ، وفي الثاني بين الاستيقاظ والنوم .

(٢) مراعاة النظير ، ومنه قول امرئ القيس :

فدمعهما سكب وسح وديعة ورش وتوكاف وتهملان

وقوله تعالى : « الشمس والقمر بحسبان » . وقول ذي الرمة :

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

وقد طارض الكيت الأسدي ، وهو من آخر شعراء العهد القديم ، قصيدة ذي الرمة التي منها هذا البيت المتقدم ، واجتمع ببعض الشعراء ، ومنهم نصيب ، وأنشدهم ما قال حتى إذا بلغ إلى قوله :

أم هل ظمائن بالعلياء نافقة وإن تكامل فيها الأنس والشنب

عقد نصيب واحده ، فقال له الكيت : ماذا تحصى ؟ قال : خطأك ؛ باعدت في القول : مالا نس من الشنب ؟ وروى صاحب الأغاني البيت بوجه آخر :

وقد رأينا بها حوراً منعمة بيضاً تكامل فيها الدل والشنب

ثم يقول : فقال له نصيب : أين الدل من الشنب ؟ إنما يكون الدل مع الغنج ونحوه ، والشنب مع اللبس أو ما يجري مجراه من أوصاف الثغر والغم ، ثم قال له نصيب : ألا قلت كما قال ذو الرمة : « لمياء في شفتيها حوة . . . » البيت

ومن هنا يتضح أن نصيباً بفعله هذا يوجه النقد إلى الكيت لأنه قد جمع بين أمرين متباعدين غير متناسبين ، أو لم يأت بما وقع عليه فيما بعد اسم مراعاة النظير . وهذا وأمثاله لا ينقض ما أسلفناه من أن الشعر الإسلامي وطى عقب الشعر الجاهلي فكانت صياغته في جملتها تمثل النظرة الصحيحة والسليقة الصافية . ولما زلت قدم شاعر إسلامي عن مواطن الجودة إلى مواطن الضعف ، وذلك لأن نقد نصيب كان منصبا على المعنى ، وكثيراً ما أخذ على الشعراء فيه ،

(٣) الارصاد ، ومنه قول عمرو بن معديكرب الزبيدي :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وقوله تعالى : « فإكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ومنه ما حكى أن جريراً أنشد بحضرة الفرزدق - وفي عنفة الفرزدق حينئذ شيب - أبيتا جاء منها : (لها برص بجانب أسكتيها) ؛ فوضع الفرزدق يده على عنفته وقال : قبحك الله ! قيل أن يتلفظ جرير بعجز البيت وهو : (كعنفة الفرزدق حين شابا)

(٤) المشكلة : منها قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » وشهد رجل عند شريح القاضي فقال : إنك لسبب الشهادة ، فقال الرجل : إنها لم نجعد عني ؛ قال القزويني : « فالذي سوغ تجميد الشهادة هو المشكلة ، فلا لا سبوبة الشهادة لا متنع تجميدها » .

(٥) الاستطراد : قال ابن رشيق (١) : وأوضح الاستطراد قول السموءل ، وهو أول من

نطق به ، حيث يقول :

وإنا لقوم ما نرى القتل سبة إذا ما رآته عامر وسلول

ومنه قوله تعالى « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم ولباسا التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » قال الزمخشري : « وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوءات وخصف الورق عليهما إظهارا للعنة فيما خلق الله من اللباس ، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، وإشمارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى » . وقول جرير .

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وضفا البعيت جدعت أنف الأخطل

فهجا واحدا ، واستنرد باثنين .

(٦) العكس والتبديل : منه قول الأضبط بن قريش من شعراء الجاهلية :

قد يجمع المال غير آكله وبأكل المال غير من جمه

ويقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من قطعه

وقوله تعالى « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي » .

وقول عبد الله بن الزبير الأسدي :

فرد شعورهم السود بيضا ورد وجوههم البيض سودا

أحمد موسى

المدرس في كلية اللغة العربية

محمد عبده

لفضيلة الأستاذ الأبرار الشيخ "مصطفى عبد الرازق"

شيخ الجامع الأزهر

يعوق الكاتب للتراجع عن تسنم ذروة الكمال ، معوقات من اختلاف المذاهب ، وتباين الثقافة ، وتغاير البيئة ، وتنوع الملوك الذهنية ، والمواهب الفنية ؛ لأن الترجمة فهم حياة ، وهذا الفهم يستدعى التغلغل في مطاوى تلك الحياة ، ولنفوذ إلى دوائها ، واستبطان تلك العوامل التي أعطتها ذلك الطابع ، وخلصت عليها ذلك السم . وكلما تقاربت الشقة بين الكاتب وهذه الحياة ، وقلت الحوائل ، كانت مهمته أبصر ، وتوفيقه أقرب . وليس هناك شخصية معاصرة لا بست حياة الإمام « محمد عبده » ولمست آثار تلك البيئة الدينية ، ودرست خصائص تلك المبقرية ، واستطاعت بحكم اتصالها ، وثقافتها ، أن تقين في جلاء مبلغ تأثيرها ، وقوتها ، ومزايها ، وطبائعها ، ومواهبها ، من شخصية الأستاذ الأبرار الشيخ « مصطفى عبد الرازق » . فهو أحق من يتولى كتابة الحياة ، ويكشف عن سرها . برشحه لهذا صداقته الشخصية ، وتزكية ثقافته الدينية الخصب ، العميقة ، وتلك الدراسات الفلسفية ، والأدبية ، ومراى ذلك الجود الذي كان يلف الحياة الدينية عن كتب ، وذلك الصراع الخفيف الذي شب أواره بين تلك البيئة وبين الأستاذ الإمام ، وهذا الانتصار الذي كللت به جهوده ، وفازت به دعوته . . .

أخلاق « محمد عبده » وشخصيته ، وعبقريته ، وعلمه ، وفهمه ، وآراؤه ، وإصلاحه ، وجهاده ، كل هذا يتطلب من يتناول به بحبرة الصديق ، وفهم العالم ، ودقة الفيلسوف ، وتحليل المنطق ، وبيان الأدب . فاذا ما نهيات كل هذه العوامل ، واتحدت ، أنتجت تلك الصورة التي تشوق كل قلب ، وتفرض جلالها على كل نفس ، وتمطي المثل الأعلى لخطورة الرسالة التي يستطيع أداءها رجل الدين ، إذا سلم خلقه ، ورئت ثقافته ، وتحررت آراؤه ، واتسع أفقه ، ونفذ بصره ؛ وكل هذه الخصائص ظهرت في هذه الترجمة التي يهديها الأستاذ الأبرار ، وفاء لذكرى أستاذه ، وصديقه ، للعالم الإسلامي . فليس هناك الكثير من يفهم البيئة الأزهرية في عهد الإمام كما يفهمها الأستاذ الأبرار ، ويعرف جوهر خلق الشيخ عبده كما يعرفه ؛ ولا طبيعة تفكيره ، وطراز عقليته ، وحقائق دعوته ، وأسلوب إصلاحه ، وطرق تجديده ،

كما يتقنها فضيلته . وهذه الدراسة هي نص المحاضرات التي ألقاها في الجامعة الشعبية التي أنشئت في فبراير سنة ١٩١٧ م ، واختير فضيلته عضواً في مجلس إدارتها ، وكان هدفها نشر الثقافة العالية بين أفراد الشعب ، وأسند إليه إلقاء محاضرات في فرع من فروع ثقافته المتعددة النواحي . فكان أول ما اتجهت إليه رغبته أن يعالج سيرة الإمام على النمط العلمي الذي يرتكز على بيان العوامل المختلفة التي كونت أخلاقه ، وطبعت شخصيته ، وأنضجت آراءه ، والتي أثرت في تطوره ونموه . فجاءت خير ما يتسنى لقلم يتناول الشخصيات بالدراسة والتحليل ، فدرس نشأته ، وبين الروافد التي أمدتها من البيئة والتربية ، والتي كان لها أثرها في أخلاقه وشخصيته . ثم عرج على الجو العلمي الأزهرى ، وما كان يسوده من آراء ، وحال طلبته وعلمائه في عهد الإمام ، وحركة التجديد في الأزهر على يد الشيخ حسن الطويل ، والبسيوني ، وغيرها من العلماء ، وعلاقته بالسيد جمال الدين الأفغانى ، ونضوجه العلمي ، وفي ميدان التدريس بدار العلوم ، والأزهر ، والحقوق ، وفي معترك الصحافة حينما كان محرراً بالجريدة الرسمية ، ثم رئيس تحريرها ، وعلى مبادئه الوطنية ، ومنهجه في الإصلاح ، وموقفه من الثورة العربية ، وما إن وصل الأستاذ الأكبر في شراسته إلى هذا الشوط حتى حالت حوائل عصفت بكل شئ حتى بالجامعة ، فوقفت الدراسة فيما اضطر إلى الوقوف ، وليس بضائر تلك الدراسة التي كتبت على أحدث الأساليب العلمية الصحيحة ، فقد أخذ الضوء الذي أشاعه الأستاذ الأكبر في شطاب تلك السيرة يضيئها جميعاً .

وكل مانأمله أن تنجح الفرصة لأستاذنا ، أن يتناول تلك الفترة الباقية من حياة الإمام - في الطبعة المقبلة - حتى لا يظل القارئ يشرب متطلعا في شوق إلى مرأى الشيخ في ذلك الطور الحافل المليء الخصب ما

محمد عبد الحليم أبو زهر

كلية اللغة العربية

السود

قيل لعدي بن حاتم رضى الله عنه ما السودد ؟ وهو ابن حاتم الطائي الذي ضرب به المثل في الكرم . فقال عدي : السيد هو اللاحق في ماله ، الدليل في عرضه ، المطرح لحقده . هذا حق ولكنّه يحتاج لبيان : اللاحق في ماله الذي لا يستد في سبيل الكرم بالحدود المقررة بين العقلاء ، فيبذل حيث يرون من الكياسة أن يتبضوا أيديهم .

أما الدليل في عرضه فليس معناه المتهاون في صيانة كرامته حومه فإن الدامة أخطأوا في تخصيص كلمة العرض بما يمس الحرم . فالعرض لغة هو ما يذم وما يمدح من الإنسان ، ومراد عدي بالدليل في عرضه الذي يشتم ويذم ولا يعاب بتبرئة نفسه .

مكارم الاخلاق

- ٣ -

وإذا كانت المرأة ليست همه ، ولم يكن تبع نساء ، فلا غرو أن تقرأ له آيات جميلة في حفظ الجوار ، ومراعاة حرمة الخلطاء ، وقد كان في هذا صاحب إحساس دقيق ، ورجل حفاظ نبيل ، فهو لا يخلف جاره في بيته ، ولا يرمى غفلة عينه عن شاته ، وهو بذلك يتنكب طريق الجاهليين ، والشعراء منهم بصفة خاصة ، هؤلاء الذين كانوا يفخرون بأنهم يصيبون مقاتل جاراتهم ، ويحسنون الديب البهن ، ولكنه لا يهوى كفه لربة ، ولا تحمله نحو فاحشة رجله ، ولا يقوده سمعه ولا بصره إلى ما يزن به :

وما أنا بالماشي إلى بيت جارتى طروفاً أحبها كآخر جانب
وهذا الذى يأخذ نفسه بالفضيلة ، فلا يزور جارته ، لا يسمع إلى حديثها ، ولا يتسقط أسرارها ، وما يعنيه من ذلك وهو العقيف الأديب ١٢
وأقسمت لا أمشي إلى سرجارة يد الدهر ما دام الحمام يفر
وسيان عنده حينئذ أن يتبرج جاراته أو يستترن ، وأن يمتصن بالحدور ، أو يجنحن إلى السفور :

وما ضر جاراً يا بنه القوم فاعلمى يجاور فى ألا يكون له ستر
بمعنى عن جارات قوى غفلة وفى السمع منى عن حديثهم وقر
وإنك لتقرأ فى الحديث النبوى الشريف أن من الذين يظلم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله رجلاً دعت امرأته ذات منصب وجمال فأبى وقال إني أخاف الله رب العالمين . ثم يروى أن تجد حانماً قد مر بهذا الامتحان المسير امتحان الشهوة الجامحة التى يعرض لها ما يشبعها ، والطبيعة الضارية التى تنهيا لها الفريسة ، والمعدم اللهبان الذى يترأى له الغنى دانياً مواتياً ، ثم بعد ذلك تمتص الشهوة بالخلق ، وتمسك الضراوة بالحياة ، ويتعالى المعدم عن الدنيا :

رب بيضاء فرعها يتثنى قد دعنى لنفسها فأبيت
لم يكن بى تخرج غير أنى كنت جاراً لبعلا فاستجيت

وليس هذا الخلق وحده هو الذى حجب قومه فيه ، وجعلهم يخلونه منهم المثل الأصمى ، بل هنالك فضائل حميدة ، ولعل من أمماها هذا الإغضاء عن مسيئتهم ، والعفو عن زلاتهم ،

والتودد إليهم ، والمطف عليهم ، والمواساة لهم ، ومع أن الأقارب أكثر ظلمًا للنايغ فيهم ،
وأشد حسداً له إلا أنه لا يفسى أن يوصى بهم خيراً :

نحلم عن الأدنين واستبق ودم ولن تستطيع الحلم حتى تحلما
ولا أخذل المولى وإن كان خاذلاً ولا أشتم ابن العم إن كان مفجعاً

وإذا وجد الناس من سادتهم تعالماً وخيلاء ، وتأفما منهم حين ينالون الغنى ، وإذا
كان الفقير حين ينزل بالنفوس يذلها ويطامن من كبرائها ، ويحط من كرامتها ، فإن حاتم لم يكن
كذلك بل كانت نفسه صافية الجوهر ، كريمة الممدن ، متينة الخلق ، لا يبطرها الغنى ،
ولا يذلها الفقر :

غنينا زمانا بالنصمك والغنى وكلاً ستناناه بكأسيهما الدهر
فازادنا بأوآ (١) على ذى قرابة غنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقر

ولم يكن إغضاه حاتم عن أقربائه فحسب ، بل إن نفسه الرحبة ، وجانبه اللين ، وحلمه
الواسع ، قد شمل القريب والبعيد ، وعم الكريم والثلثم ، بغضى عن الكريم ليدخره ،
ويغضى عن الثلثم ترفعا بنفسه عن مجاراته في جهله ، ومشاركته في طيشه :

وأغفر عوراء الكريم إيجاره وأعرض عن شتم الثلثم تكريما

وكأنما كان يدرك بفطرته الصافية ، معنى قول الله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن فإذا
الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » . ولعل التجارب وحدها هي التي هدته ، وكان حسن
خلقه ، ومكارم نفسه ، من الدوافع التي حببت إليه هذا السلوك الفذ في عصره ، وقد عرف
أن الحق متى قوبل بالحق ، استحكمت الشجاعة ، وتقطعت عرا الإبقاء ، وشمل البلاء ، والجهل
إذا قوبل بالحلم رجح السفية عن سفاهته ، وأقلع الجاهل عن جهله ، وهذا ولا شك إدراك لم
تعده الذهنية الجاهلية ، ولم تلتفت إليه الحياة البدوية ، بل كان القانون المسيطر على عواطفهم
وعقولهم معنى قول زهير بن أبي سلمى : (ومن لا يظلم الناس يظلم) . وإنه ليقوى يقيننا
في سمو النفس البشرية أن نجد رجلاً مثل حاتم في هذا الخضم المتلاطم الأمواج بالعداوات
والخصومات ، وفي هذا الجو الذي لا تأخذ الأنوف فيه إلا روائح الثارات والدماء ،
نجدته يقول :

وعوراء جاءت من أخ فرددتها بسالة العينين طالبة عذرا
ولو أنى إذ قالها قلت مثلها ولم أعف عنها أورثت بيننا غمرا (٢)

فأعرضت عنه وانتظرت به غدا لعل غدا يبدى لمننظر أمرا
لاستل منه الضغن حتى استلته وأقلم أنظاراً أطال بها الحفوا

وإن الذين طالجوا موقفا من هذه المواقف ليدركون إلى أي مدى يكون ضبط العاطفة ، وقوة الإرادة ، وازان التفكير ، فالإنسان حين يجبه آخر بالشر تهيج عواطفه ، وتشور نفسه ، ويتضاءل أمام ذلك تفكيره ، ويختفى عقله وراء ثورته ، ويميل ميزانه في تقدير العواقب ، وقليل هؤلاء الذين يضبطون شهورهم ، ويتحكمون في أعصابهم ، ولذلك كان الحلم من أنبل الاخلاق ، وأدله على قوة الدين في المتدينين ، وسجاجة النفس ورقتها ومحوها في غير المتدينين . وحسبك بالآلام التي يعانها من يتكفون الحلم ، أنهم يضغطون على أنفسهم ، ويقاومون نوازع الشر فيها ، ويتجاهلون أشياء كثيرة قد يكون الخضوع لاهونها مدعاة إلى شر مستطير ، وليس هذا من طبيعة الجاهل ، ولكن حتما يدعو اليه ويحبب فيه .

وإذا رجعنا إلى آداب السلوك التي يمتدح بعض المحدثين أنهم وضعوا أصولها وهذبوا فروعها ، وجدنا ذلك الجاهل الساذج قد سبقهم بدقائق فيها ، ففضيلة الايثار ، وحسن الصحبة ، وجميل المواساة كل ذلك مما تنبه إليه ، وعمل به ، وينحدث في ذلك حديثا قد يكون بسيطا ، ولكن قوته في بساطته ، وهو - على كل حال - دليل على أن نفسه مأخوذة بحسن الخلق ، متنبهة إلى لطائف المعاني في المعاملة والخلاط ، وهو يقول : لا ينبغي لمن يجد ناقة نحمله أن يتركها خفيفة سائلة ، ويضن بها على صاحبه الذي يعانى آلام السفر ، ومشقة الطريق ، فليركبها معا إن أطاقت ، وإلا فليتعاقبا عليها ، وبذلك يقضى حقا واجبا :

فأنا بالطاوى حقيبة رحلها لا بمشأ خفأ وأترك صاحبي
إذا كنت ربا للنلوص فلا تدع رفيقك يمشى خلفها غير راكب
أنحها فأردفه فإني حملتكما فذاك وإن كان العقاب فعاقب

بل أجل من ذلك هذا الادب الرفيع الذي يتجلى في إثاره صحابته على نفسه ، ومظهر ذلك عنده ألا يورد ناقته قبل نوقهم :

وما أنا بالساعي بفضل زمامها لشرب ماء الخوض قبل الركائب

وقد نظن أن الجاهل الذي يعانى شظف العيش ، ويعيش على الدون من الطعام ، ويوكب سفنا ملتوية من خشونة الحياة وجفوتها ، وهو بعيد كل البعد عن لطائف النفوس الحضرية ، قد نظنه غليظا جافيا حين يطعم ، متجانفا الادب حين يثا كل ، ولكننا نجد بعضهم كأرق الناس حاشية ، وأطفهم محالسة ، وهذا الشنفري الأزدي يحدثنا في لاميته أنه لا يجعل إلى الطعام ولا يمد يده قبل رفاقه لأن ذلك جفع لا يرضيه لنفسه ، ولكن حتما يرق ويسمو حين

يقول :

وأنى لاستحيي أكبلى أن يرى مكان يدى من موضع الزاد خاليا

وبعد ، فهذه صورة لرجل جاهل ماش قبل الاسلام فى زمن تسوده المادية ، وتسيطر عليه مثالب النفوس ، ولكننا نجده فى كريم خلقه ، وحيد سجايه كأنه نبراس مضى فى ليل مظلم ، وما يذكر هذا الرجل إلا مقترنا اسمه بالجلود ، فأردت أن أكشف عن أخلاقه الأخرى التى أبقتة فى أذهان معاصريه ، والتى جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لو كان إسلاميا لترحمنا عليه . ولا نختتم حديثنا عنه حتى نذكر هذه الكلمات التى قالها سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وهو يحدث حديث سفانة الذى افترضنا به هذه المقالات ؛ قال على : يا سبحان الله ما أزهده كثيرا من الناس فى الخير ! عجبت لرجل يجيئه أخوه فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ، فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخاف نارا ، ولا ننتظر نوبا ، ولا نخشى عقابا لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فأنها تدل على سبيل النجاة .

على محمد عيسى
المدرس بمعهد القاهرة



مركز تحقيقات كاتبيوتر علوم إسلامي

جوائز على حفظ القرآن الكريم

ستمعند الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم المسابقتين الآتيتين :

(١) مسابقة الحفظ الحديث السن الذين لا تزيد سنهم عن ١٤ سنة فى الحفظ وأحكام التجويد شفويا .

(٢) مسابقة كبار الحفظة من ١٤ سنة الى ٢٥ سنة فى الحفظ وأحكام التجويد تحريريا . وهاتان المسابقتان على جوائز مالية . وتقبل الطلبات مصحوبة بشهادة الميلاد والصورة الشمسية من الآن لغاية ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٦ باسم سعادة رئيس الجمعية شارع الملكة نازلى رقم ١٢

وسيكون الامتحان لصغار الحفظة ١١ شوال سنة ١٣٦٥ الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٦

» » لكبار » » ١٤ » » ١٠ » »

بمدرسة الإمام الحسين رضى الله عنه بشارع الأزهر عند ملتقى شارع الخليج المصرى .

النقد الأدبي في القرن الرابع

الجرجاني وابن رشيق .

يبدو بوضوح وجللاء أثر الوساطة في النقد والبيان في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ ، فقد نقل ابن رشيق كثيرا من آراء الجرجاني مستدلا بها ، أو معتمدا عليها فيما يسوقه من رأي ، وأحيانا قليلة جدا نافذا لها مما لم يتسع المقام هنا لبسط الحديث فيه أكثر من الإشارة العابرة .

الجرجاني وعبد القاهر .

نفا الرجلان في جرجان ، وعاش أولهما في القرن الرابع (توفي سنة ٣٩٢) ، والثاني في القرن الخامس (توفي عام ٤٧١) ؛ وكانت نشأة عبد القاهر في جرجان موطن القاضي الجرجاني وتأثره ببيئاتها ، وتنقعه على أسانذتها ، وقراءته مؤلفات علماءها ، وانجابه إلى الثقافة الدينية والأدبية التي اتجه إليها القاضي من قبل ، كان كل ذلك باعثا على تتلمذ عبد القاهر على ثقافة القاضي ، وتأثره بها ، واستمداده من معينها .

ويتجلى أثر الوساطة بوضوح في كتابي عبد القاهر : الدلائل والأسرار ، فكثيرا ما يقتبس من آرائهما ، أو يأخذها قضية مسلعة يبنى عليها ويستدل بها .

(أ) فلكلام عبد القاهر على المعاني ، وزيادة شاعر على آخر فيها (الدلائل ٣٧٤) ؛ وكذلك حديثه عن السرقة ومظاهرها وما تقع فيه من المعاني ، إلى غير ذلك مما نراه في دلائل (ص ٣٩٠) وفي الأسرار (٢٩٣ - ٣٠٢) قد تأثر فيه عبد القاهر بالقاضي (١٤٧ - ١٥٠ و ١٦١ من الوساطة) ؛ والاتفاق في الغرض وصوم الدلالة لا يعد سرقة عند عبد القاهر (٢٩٤ أسرار) ، وقد أفاض في ذلك من قبل القاضي وعاب ابن يموت في رديه أبا نواس بالسرقة فيها اتفق هو وغيره فيه في صوم الدلالة (١٦٦ ، ١٦٧ وساطة) .

(ب) والاستعارة وتقريب الشبه فيها فكرة ذكرها عبد القاهر (١٢١ ، ٢١٦ ، ٢٨٩ من الأسرار) ، كما ذكرها الجرجاني (الوساطة ٤٣ ، ٣٢٤) ، وفي الحق أن قدامة قد ألم بها في نقد الشعر (١٠٥ و ١٠٦) متأثرا بخطابة أرسطو فيها (المقالة الرابعة من الفن الثامن من الشفاء) ؛ ونقل عبد القاهر نفس تعريف القاضي للاستعارة (٣٣٣ دلائل و ٣٤٦ أسرار) مما نراه في الوساطة (ص ٤٣) .

(ج) ونقل عنه عبد القاهر نقده لبيت ابن المعتز :

بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الحدود

وسلمه له (١٧٢ ، ١٥١ وساطة) .

(د) وأثر التعقيد اللفظي في النفس أفاض في الحديث عنه القاضي (٢٥ و ٢٩ و ٣٠ من الوساطة) ، وكتب عنه عبد القاهر متأثرا كل التأثر به (١٢٠ و ١٢١ و ١٢٥ أسرار) ، وقد سبقهما الجاحظ إلى الحديث عنه في بيانه (١٠٥ ، ١٠٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ و مواضع أخرى من البيان والتبيين) ، وألم بها الآمدي إلما في موازنته (١٨٢) . ورأى عبد القاهر في أبي تمام والنمى عليه لأغرابه (١٢١ أسرار) هو رأى القاضي (٢٤ و ٢٥ وساطة) ؛ وكذلك رأيه في البحترى والاشادة بطبعه (١٢٤ أسرار و ٣٠ وساطة) ؛ وعلى العموم فتأثر عبد القاهر فيما كتبه عن التعقيد (١١٨ - ١٣٥ أسرار) بما كتبه القاضي من قبل عنه في وساطته (٢٤ - ٣٢) واضح بين .

(هـ) واستدل عبد القاهر على أن أسلوب زيد الاسد الأرجح فيه أن يكون تشبها برأى القاضي (٢٧٩ أسرار و ٣٣٤ ، ٣٣٥ وساطة) .

كما ينقل عنه في مواضع كثيرة أخرى في كتابيه الأسرار والدلائل .

وعلى العموم فكتابة عبد القاهر تم عن إجلاله الكبير لمصاحب الوساطة ، ولعله لم يذكر اسم رجل كتب في النقد والبيان قبله مثل ما ذكر اسم القاضي .

هذا هو أثر الوساطة في أصول كتب النقد والبيان التي ألفت في القرن الخامس ، وقد امتد ظهور أثرها فيما ألف بعد من مؤلفات في النقد والبيان وفي شروح ديوان المتنبي والكتب المؤلفة في نقد شعره ؛ فاستمد منها السكاكي ومدرسته البنيانية ، وابن الأثير ؛ كما استمد منها العميدى وابن فورجة ، والواحدى ، والمكبرى ، والبدينى ، وغير هؤلاء من رجال النقد وعلماء البيان . وبعد فللوساطة ميزاتها الكثيرة التي يمكننا أن نوجز الحديث عنها فيما يلي :

١ — فيها تصوير جيد لوجوه التفاوت بين القدماء والمحدثين ورد ذلك التفاوت الى بواعث وأسبابه .

٢ — فيها حديث جيد عن النقد الموضوعى وصلة الشاعر بروحه وطبعه وخلقه وخلقه وبيئته .

٣ — عرضت كثيرا من مشكلات الادب ، وعناصر البيان ، وأملت بالتطور الادبى لأساليب من أساليب البديع ، في قوة بحث ، وسداد رأى ، وكثرة تفصيل :

(١) كبحوثها في الجزالة والركة في نفس الشاعر والاديب (٢٢ - ٢٤ من الوساطة) ، ووجوب تنزيلهما منازلهما بحسب المعانى والموضوعات (ص ٢٩) ، وتلك فكرة كتب عنها الجاحظ في بيانه (٣٠ ج ١ ومواضع أخرى) ، وربما تأثر القاضي به فيها ، ودما الادباء

الى ترك التكلف والتعقيد والى الاسترسال مع الطبع ، مشيراً بأثره وبموقع الالفاظ العذبة من القلب والعقل ، مع جنوحه إلى تقديم المطبوعين من الشعراء كجبريل والبحترى ، وأنه على المتكلمين المتصنعين كآبى تمام (٢٥ - ٣٧) .

(ب) وعرض للبديع (ص ٣٨) ، وألوانه من تجنيس وطباق وتقسيم وتصحيف (٤٣ - ٤٩) ، ومن استعارة (٣٨ - ٤٣) متحدثاً عنها وعن خصائصها وعن منزلتها في البيان وعناصر جمالها من تقريب الشبه وجودة المناسبة ، وعن مذهب أبى تمام ومن تبعه من المحدثين في إبعادها (٣٢٣ - ٣٢٧ من الوساطة) ، فارقاً بينها وبين التشبيه (ص ٤٣) ، كما ذكر أدوات التشبيه وأقسامها (٣٣٤ و ٣٣٥) ، وأنه قد يقع طورا بالصفة وطورا بالحال (٣٥٩) ، وبين أغراض الشعراء في بعض صور التشبيه (٣٦١) ، وهو يعد أسلوب التجريد من الاستعارة كما نراه في الوساطة (ص ٣٦) .

(ح) وذكر السرقات الأدبية ، وبحث ألوانها ومنازلها في الوضوح والخفاء ، ومقاسها للمعاني إذا كرا ما تقع فيه السرقة منها ، داعياً إلى التأنى في رمي شاعر بالسرقة ، معتذراً عن المحدثين فيما وقعوا فيه من سرقات ، معددا سرقات المتنبي من الشعراء (١٤٤ - ٣٠٩) ، كل ذلك في قوة تفصيل وتحليل ، مما كان مرجع النقاد وعلماء البيان جميعاً بعد عصر القاضى .

(د) وأفاض في الكلام على المبالغة والأغراق ، وتطورهما في المصور الأدبية ، ومغالاة المحدثين فيهما (٣١٧ - ٣٢٣) ، وكلامه في الغلو وأنه مذهب طام للمحدثين دعاهم اليه التطور العقلى وعدم مؤاخذته المحدثين به ، جنوح إلى رأى قدامة الذى يستحسن الغلو في الشعر (٣٥ - ٣٨ نقد الشعر) .

(هـ) وذكر الغموض في الشعر ، وأخذ الفرزدق وأبا تمام وأبا الطيب به ، وشرح أسبابه ، وفرق بينه وبين ما ينشأ عن غرابة الكلام وتوحش اللفظ وتغير الألف والمادة من غموض (٣١٣ - ٣١٧) .

(و) وذكر أسلوب الالتفات ، ومذهب من يحيزه في قصد واعتدال ، ذاهباً إلى أن الإفراط فيه داع إلى التباس الضمائر والأشكال على السامع ، وأن له مواضع تختص بالجواز وأخرى تبعده عنه ، تاركا تفصيل ذلك لموضعه في بحوث أخرى ، وأخذ على المتنبي التجاهه إلى أسلوب الالتفات ورآه غير معذور فيه بتركه الأمر القوى الصحيح إلى المشكل الضعيف (٣٣٨ - ٣٤١ من الوساطة) ، ورأى القاضى في أسلوب الالتفات يشير إلى نفي بلاغته وتأثير سحره ، ونحن لانوافقه على جمهور هذه القضية وإطلاق هذا الحكم .

(ز) وتكلم على الحشو (ص ٣٦) ، ومر الفصل بين الكلام (٣٣٤) ، وعلى أسلوب القلب (٣٥٧ - ٣٥٨) ، كما تكلم على التكلف والتعقيد اللفظى وأثره في النفس (٧٤ و ٢٥)

على ضرورات الشعر ، ورأى أبى الطيب فى الإمام الشاعر بها وحجج من يعارضه بما رآه منتصرا لعننى فى جواز ذلك للشاعر (٣٤١ - ٣٤٧) .

(ح) وتدد بمصيبة الرواة على المحدثين وأشاد بمكانتهم فى الشعر والبيان (٥٠ - ٥٢) إلى غير ذلك من شتى البحوث الأدبية والبيانىة ، والجرجانى يغلب عليه فى عرضه الذوق الأدبى وروح البحث انبىائى ، وهو أكثر تفصيلا فيما عرض له من بحوث ممن سبقته من النقاد ، فهو قد سار على خطأ من سبقه فى مزج النقد بالبيان ، تحتفلا بالنواحي البلاغية فى النقد ، واضعا قواعد لبحوثها ، كانت أصلا كبيرا لعلم البيان ، ولا شك أن ما بين النقد والبيان من وثيق الصلات كانت تدفعه الى ذلك ، كما كانت تدفع اليه سائر النقاد ، وقد تأثر به عبد القاهر فى ذلك إلى حد كبير .

وبالرغم من هذه الخصائص التى تكاد الوماسة تنفرد بها ، فقد وضعها رجال النقد موضع المناقشة ووزنوها بموازين النقد الأدبى السليم ، وذلك ما نرجى ، الحسبث عنه إلى كلمة أخرى ، إن شاء الله ؟

« يتبع »

محمد عبد المنعم ففاهى

هل الى السفهاء حاجة

السفه عند العامة السباب ، وهو خطأ وممناه لغة خفة الحلم أو الجهل . واصل معناه الخفة والحركة والاضطراب ، وقد ذمه الاخلاقيون ولكن بعض الشراء مدحه وعضدهم بعض الحكماء ، فقد روى عن أشهر أهل الحلم فى الاسلام وهو الأحنف بن قيس أنه قال : « ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا . وأنشد :

لا بد للسود من رماح ومن رجال مصلى السلاح
يدافعون دونه بالراح ومن سفیه دائم القبحاح

ومما يشير الى مثل هذا المعنى قول النابغة الجعدي .

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرها

روى أنه لما أنشد النابغة هذا البيت للنبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة كان مدحه بها قال له رسول الله : « لا يفضض الله فاك » فحش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية .

وإنما كان الحلم بحاجة الى بوادر من الغضب لأن التجاوز وعدم الاكتراث للسفهاء قد يطفئهم ، وينذهب بهم الى مدى بعيد ، فان لم يردعوا من قريب تجاوزوا الحدود المعقولة .

عبيد الشعر في العصر الجاهلي

كان ما سبق من ظهور الاسواق ، والمحاكاة فيها بين الشعراء ، وتكسب الشعراء بشعرهم استدراارا للمغانم ، واستجلابا للصلوات ، ولتمقيب آخرهم على أولهم ، حتى يلحق به ولا ينقطع دونه ، وصلة الغناء بالشعر — مهيتا لظهور طائفة من الفحول ، اشتركت في مظاهر خاصة في شعرهم ، تقوم على الروية والتجويد والتجويد والتجويد في القصيد ، واشتهرت لذلك عند نقاد الأدب وعلمائه « بعبيد الشعر » ، كما جاء في عبارة الأصمعي التي حكاها الجاحظ في كتابه ، دلالة على تملكه قيادهم ، وأسرهم لهم ، واستعباده إياهم ، واستفراغهم الجهد في تهذيبه ، وتقبه وتفتيشه ، فكان منهم زهير ، والنابغة ، والأعشى ، وأوس بن حجر ، والحطيئة .

وقد آن لنا أن نترجم لهذه الطبقة من الشعراء المصنعين ، المجودين ، ترجمة موجزة تتصل بموضوع المحاضرة ، ثم نعرض بعدها لكل واحد منهم شيئا من شعره ، لنضع أيدينا على ظواهر التعبير فيه ومماته التي تكشف عن صدق هذه التسمية « عبيد الشعر » ، ومبلغها من الصواب .

زهير :

هو زهير بن أبي سلمى ، وهو ربيعة بن رباح ، مزي نشأ في غطفان ، يقال إنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير ، كان راوية أوس بن حجر زوج أمه ، يصطنع مذهبه في تمثيل مظاهر البرية العربية في شعره ، من تشبيه ووصف ، وإن كان هذا طابع الشعر الجاهلي في الجملة ، وكذلك كانت يتأدب بأدب خاله أو خال أبيه ، بشامة بن الغدير ، وهو من سادة غطفان ، كان مقعدا ذا رأي ومشورة ، تعظمه غطفان وتستشيره ، وتعرف حزمه وحكمته ، وقد صرح بشامة بأن الشاعر الحكيم مدين له بشعره وأدبه وحكمته ، قال له — وقد سأله زهير أن يقسم له من ماله — : حسبك شعري وورثته ورويته غنى . وليس لهذا الأثر معنى إلا أنه بث فيه من روحه . ويتحدثون أيضا أن زهيراً روى عن طفيل الغنوى ، وكان من المخبرين في شعرهم . وبيت زهير من بيوتات الشعر ، فأبوه وخاله وأختاه سلمى والخنساء ، وولداه كعب وبجير من الشعراء المذكورين ، وقد عرف زهير بالغنى والعفة والحلم ، ومن شأن هذه التربية المزوجة بهذه الأوصاف ، أن يتصل أثرها بمذهبه الشعري ، وأن يكون جديرا بالبعد عن السخف ، والتزهد عن الفضيل ، وفي الناس من يقدمه على امرئ القيس ، لأن شعره يمتاز بصدق اللهجة ، وخلوه من الخوشى

والمعقد ، وجمعه الكثير من المعاني في القليل من اللفظ ، وابن سلام عده في الطبقة الأولى ، ويضيف اليه الرواة قصة الحوليات ، لأنه كان ينظمها في أربعة أشهر ، وبهذه في أربعة ، ويعرضها على الشعراء في أربعة ، فلا ينشدها إلا بعد حول ، والمطلع على شعر زهير وما فيه من صور وحكم خالدة ، لا يستطيع أن ينكر أن زهيراً من أصحاب المراجعة والمعاودة ، وذلك بالطبع يقتضى زمناً طويلاً ، وهو مقصود الأدباء بالحوليات ، لا مفهومها الظاهر منها ، (١) وخصائص شعر زهير ، تكاد تنحصر في تصويره المادى للأشياء ، تصويراً يكاد يكون ناطقاً ، فهو يحاول في شعره أن يفصل الأجزاء بصورها ، كأنه يعرض عليك مناظر بكامل أجزائها وتفصيلها ، وهنا تظهر براعة الشاعر في استخدام الانفاظ والعبارات ، مما يقطع برويته ومراجعتة في شعره ، كذلك كان يتجنب الحوشى ، وكثر في شعره الحكمة والمثل عن قبله من الشعراء .

ويرجع النقاد ميزة التصوير المادى عند زهير ، الى أستاذه أوس لأنه كان يتوكأ على حسه المادى في شعره ، وزهير أحرم من أستاذه على ذلك ، وهو كأوس حريص على الإناة ، يتخذ الشعر فناً وصناعة ، بيد أن لغة زهير أيسر من لغة أوس ، لأن الطبيعة كانت تسير باللغة الى التهذيب ، وزهير متعقب ، فقل عنده الغريب . ولنعرض بعد لشيء من شعره ، بمقدار ما يوشك أن يكون دليلاً على صدق ما بينته الرواة من وصف خاص ، أو مذهب مشترك .

قال بديح حصن بن حذيفة بن بدر القزازي ، أحد أشراف العرب ، وفيها وصف للفرس والصيد ، من أجود ما قبل في الجاهلية :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله	وعرى أفراس الصبا ورواحله (٢)
وأقصرت عما تعلين وسددت	على سوى قصد السبيل معادله (٣)
وغيث من الوهمي حو تلاهه	أجابت روايه النجا وهو اطله (٤)
هبطت بمسود النواشر ساج	ممر أسيل الخلد نهد مراكله (٥)
تميم فلواناه فأكل صنعه	فتم وعزته يداه وكاهله (٦)
فبيننا نبغى الصيد جاء غلامنا	يدب ويخفى في شخصه وإيضائه

(١) ١٠٨ - ١٠٩ عمدة (٢) صحا : أفاق وأقصر : كف عن باطله . (٣) الأقصار : الكف من قدرة بخلاف النصر . (٤) الوهمي مطر أول الربيع لونه الأرض بالنبات . والحسوة أسوداد الى خضرة . والتلاع مسائل الماء . والراية ما ارتفع من الأرض . والنجا جمع نجوة المرتفع أكثر . والمطل مطر يدوم في سكون . (٥) المسود الجدول والنواشر المروق . والممر المقتول . والأسيل الواشح الأملس والمركل موضع عتب الفارس من الفرس . وكل ضربه برجله . (٦) التميم التام . فلواناه فطمنناه . وعزته غلبته أو أطاعته . والكاهل من الفرس ما ارتفع من فروه كتنه .

قتال شياء راتعات بقفرة
ثلاث كأفواس اسراء ومسجل
فبتنا عراة عند رأس جـ وادنا
ونضربه حتى اطمان قذاله
فلا يا بلاى ما حملنا وليـدنا
ونلت تعلم أن للصيد غرة
فنبتع آثار الشياه وليـدنا
يزن الحصا في وجهه وهو لا حق
فرد علينا العير من دون إلفه
وأبيض فياض يده غمامة
بسكرت عليه غدوة فوجـدته
يفدنه طورا وطورا يلينه
فأقصرن منه عن كـريم مرزا
أنهى ثقة لا تملف الحر ماله
تراه إذا ما جثته منهللا
وذى نسب ناء يعيد وصلته
وذى نعمة نعمتها وشكرتها
دفعت بمعروف من القول صائب
وذى خطل في القـول بحسب أنه
شبات له حلما وأسكرت غيره
خديفة ينميه ويدرك كلاهما
ومن مثل حصن في الحروب ومثله
عزيز إذا حـل الحلقتان حـرله

بمستأسد القرىان حو مسائله (٢)
قد اخضر من لس الغمير جحافله (٢)
يزاوننا عن نفسه ونزاوله
ولم يطمئن قلبه وخصائله (٣)
على ظهر محبوبك ظاء مفاصله (٤)
وإلا تضيعها فأنتك قائله
كششوب غيث يحفش الآكم وابله (٥)
سراع نواله صباب أوائله
على رغمة يدمى نساء وفائله (٦)
على معتفيه مانفب فواضله (٧)
قمودا لديه بالصريم عـواذله (٨)
وأعياء فما يدرين أين مخائله (٩)
عزوم على الأمر البنى هو فاعله (١٠)
ولكنه فـد يهلك المال نائله
كانك تعطيه الذى أنت سائله
بمال وما يدرى بأنك واصـله
وخصم يسكاد يقلب الحـق باطله
إذا ما أضـل الناطقين مفاصله
مصيب فما ياعم به فهو قائله
وأعرضت عنه وهو باد مقاتله
الى باذخ يعـلو على من يلمـاوله
لأنكار ضيم أو لأمر يحاوله
بذى لجب لجانه وصـواوله

رباض هزل

(١) استأسد الثب طائر . واستأسد وأسد صار كالأسد . القرىان جمع قرى مسايل الماء جمع مسيل من
سال يمرى السيل . (٢) اسراء شجر تنخذ منه النسج والمجل الحمار والنسج التناول بأطراف الجفقتين
والقمير الثب بضم يبيس . (٣) الفذال معقد العذار والخصائل جمع خضيلة لحم الفخذين والساقين والعضدين .
(٤) اللأى الشدة . (٥) الششوب الدفعة من المطر وحفش السيل أمال الأكمة وهى المكان المرتفع والوابل
المطر الشديد الضخم . (٦) النسا كمصا عرق في الورك والفائل عرق في الفخذين . (٧) المعتق طالب
الجود تلب تنقطع . (٨) الاسريم الفصر أو الصبح . (٩) أعياء أعجز والمفعول متروك والمخاتل موضع
المخل الأخذ في خيفة . (١٠) المرزا المتعقم ما في يديه من رزاه ماله تقصه .

الخطابة في الاندلس

- ٢ -

تلك هي الدواعي التي كانت تدعو الأندلسيين إلى الخطابة ، وتحرضهم على الحديث في شتى المناسبات ، وهي دواع كان يجب أن نرى من آثارها آلاف الخطب لرجال الأندلس تروىها لنا كتب الأدب والتاريخ ، ولكننا حينما رجع إلى المصادر الأندلسية بشأن هذا الباب ، لا نجد من الخطب الأندلسية ما يشفي الغليل ، أو ما يصلح أن يكون أثراً كاملاً لهذه الدواعي الجمة ، وإنك لترى كثيراً من مؤرخي الأدب في الأندلس ، المتقدمين منهم والمتأخرين ، يذكرون تراجم لأشخاص يصفونهم بأنهم من « خطباء الأندلس » ، وبأن لفلان وفلان وفلان منهم « دواوين خطب » ، فتذهب منقبا عن هذه الدواوين عليك تجد فيها ما يعطيك صورة واضحة المعالم حاضرة السمات للخطابة في الأندلس ، فتتمتع نفسك في البحث والتنقيب ، ثم لا تنظر من بحثك بظائل !

فلست شعري ؟ ... كيف نعلل هذه الظاهرة العجيبة في تاريخ الأندلس الأدبي ؟ ...

انقسم مؤرخو الأدب الأندلسي في هذا المقام إلى فريقين : الفريق الأول يدعى أن الخطابة في الأندلس لم تنل من العناية والاهتمام ما يناسب قدرها وأسبابها ، أو ما يدعو إلى كثرة رجالها ، ويرجع ذلك إلى أسباب : (١) اعتماد الولاة في الاقتناع على السيف دون اللسان ، وإهمالهم لمواقف الخطابة وتركها للقضاة وأئمة الصلاة . (٢) شدة الولاة وقضاؤهم على الأحزاب السياسية ، وتوجيه الأنظار إلى الاشتغال بالعلوم والفنون . (٣) انصراف الشعراء والأدباء إلى الشعر والافتتان فيه ، وانغماس سواد الشعب في الترف والنعيم ، مما ذهب بشجاعة كثير ممن ينتظر منهم إجادة الخطابة ، وأضاع عليهم شيلته من الحماسة التي تتطلبها مواقفها ، لذا أصبحت بعد قليل لا يُلبجأ إليها إلا في أيام الحفلات التي يقصد فيها إلى إظهار جلال الدولة ، وقام مقامها في الأمور العامة المنشورات التي كان يقوم بتجويرها الكتاب أو الوزراء (١) .

ويقول المرحوم الشيخ علام سلامة في تأييد هذا الرأي : « وما كان أحوج المسلمين بالأندلس إلى خطباء يؤلفون القلوب ، ويستلون السخائم ويستنهضون الهمم ، وينفخون فيهم روح الحماسة ، اتقاء عدو كان ينحين لهم الفرص ، ويتربص بهم الدوائر ، ويسمى دائماً لفصم عرا وحدتهم وتشتيت جماعتهم . غير أنه لم يكن شيء من ذلك ، فإن أمراء الأندلس أهملوا هذا الموقف ، وجعلوه إلى القضاة وأئمة الصلاة ، الذين كانوا يعهدون اليهم إعداد

(١) مذكرة الأستاذ عبد المجيد الشافعي في الأدب العربي ص ٢٤٤ .

الخطب في المواقف المختلفة . وكثيراً ما كان الأمير أو الملك يبعث المنشورات العامة من تحبير كاتبه أو وزيره لتتلى على الناس في السكور والأقاليم ، قائمة مقام الخطب عند طرود الحوادث وغشيان النوازل ، وكل ما جاء من خطب الأندلسيين خلى من روح التأثير بعيد من مقاصد الخطابة

ونلاحظ على هذا الرأي وأدلته بعض الملاحظات فنقول : إنه سلم بوجود المؤثرات القوية الداعية إلى الخطابة ، ولم يمل لفة الوارد منها تعليلاً مقبولا ، فالولة كما يعتمدون على السيف يعتمدون على الخطب ، وأحيانا كثيرة تقوم الخطبة البليغة بما لا تقوم به مشات السيوف والرماح ، والولة في الأندلس أكثرهم عرب ، يدركون خطر البلاغة وتأثير القول ، ولا يهزم البيان لانطلاق اللسان .

ونعمل هذا الفريق بشدة الولة لا ينهض دليلا على ما يقولون بعد ما ذكرنا من وجبات الخطابة التي لا تتعارض مع هوى هؤلاء الولة ، وذلك كالقول في سناهضة العدو الأجنبي ، أو الاشارة إلى الله ، والرجوع عن الشهوات ، وكذلك لن يكون انتشار العلوم والفنون والشعر سببا لضياع الخطابة أولا زهاق شجاعة من ينتظر منهم إجادة القول في المحافل والجامع ، فانه على الرغم من شيوع الشعر وظهر النعم ، كان لا يزال هناك كثيرون ممن علت مكاتهم ، وسلبت نفوسهم ، من الأمراء والولة والقواد والقضاة والعلماء والمجاهدين . . . كما أن هذا الرأي سيؤدى بنا الى تسكيز عشرات المؤرخين لأدب الأندلس في وصفهم عشرات وعشرات من الأندلسيين بأنهم خطباء ، وفي ذكرهم « دواوين خطب » لهم . .

أما الفريق الثانى من المؤرخين والباحثين فيسلم بأن الأندلسيين قد قالوا خطبا كثيرة تناسب تلك الدواعى الهامة ، وأن الخطابة عندهم قد تناولت أغراضا شتى من شئون الحياة ؛ فكان منها الخطابة السياسية التي تقال لنصرة فكرة على فكرة ، أو تقديم حزب على حزب ، أو تأييد حكومة من الحكومات ، أو تفصيل خطة يسير عليها الخليفة أو الأمير ، أو تحريض على قتال وتنفيذ من فرار ؛ وكان منها الخطابة الاجتماعية ، وهي ما تقال في مختلف المناسبات العامة ، والمحافل الجامعة ، كخطب الاستقبال والتهنئة والاستشفاع والاعتذار ، وكالخطب التي يقولها أصحابها تهذيب الحياة الاجتماعية من أوضاعها وأوضاعها ، ولتأييد الفضائل الخلقية ، ونشر المبادئ السامية ؛ وكان منها الخطب الدينية ، وهي التي تحت على التمسك بأهداب الدين ، والتحلى بتهالجه ، واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، والتي يكثروا ورودها في المناسبات الدينية كالجمع والأعياد والمراحم ؛ وكان منها « الوصايا » التي ترتبط مع الخطب بأقوى رابطة ، وتشابهها في أكثر الأمور .

ثم يعمل هذا الفريق بعدم بقاء هذه الخطب الكثيرة المتنوعة بأنها قد أريدت بفعل

الاسبان الذين لم يُبقوا على شيء من ترادى العرب حينما طردوهم من وطنهم ، أو أنها لا تزال موجودة ولكنها لم تصل إلينا . وكذلك يرى هذا الفريق أن الخطابة قد بلغت أيام الولاة الفاتحين وزمن دولة بنى أمية وملوك الطوائف مبلغا حسنا ، وازدادت علوا وشرقا ، حتى جعلوا لفظ « الخطيب » من ألقاب التعظيم والتشريف ، وأضافوا القضاء إلى الخطابة . ولم تضعف الخطابة إلا في أواخر أيامهم ، عندما ضعف الشعر والنثر الفنى لغلبة المعجمة على أهل البلاد ، بل على الملوك والأمراء . . . ثم تلمس أهل هذا الرأي عللا لقلة الخطب الرائعة المدونة المروية عن خطباء الأندلس الكثيرين ، فقالوا إنها جمعت في دواوين خاصة أبادها الاسبان أيام القضاء على المسلمين في تلك البلاد ، أو أن أكثر بلاغة الخطب في ارتجالها وطولها وتأثيرها في سامعيها ، فلم يكن لها ما للنثر الفنى والشعر من تخير الالفاظ ، وحسن الترتيب ، وسمو الخيال ، فلم يمن بها المؤلفون والرواة عنايتهم بهذين اللونين من ألوان الأدب (١) .

ويستدل هذا الفريق أيضا على كثرة الخطب وجلال شأنها عند الأندلسيين بأنها كانت تقدم وتفضل عندم على الشعر في الحفلات الجامعة والمقامات المشهودة ، ويستشهدون على ذلك بما كان من عبد الرحمن الناصر يوم جاءه رسول ملك الروم وصاحب القسطنطينية ، إذ تقدم إلى ابنه الحكم في إعداد الخطباء والشعراء لحفلة الاستقبال ، وأن يقدم الخطباء على الشعراء في الكلام ، وسنعرض لهذا الموقف بعد قليل ؛ وكذلك بلغ من تقدير هؤلاء القوم للخطابة أنهم كانوا إذا أرادوا أن يكرموا عالما من علمائهم ، أو أدبيا من أدبائهم لقبوه بلقب : « الخطيب » ١ .

وهذا الرأي فيما نعتقد هو الأقرب إلى الصواب ، لأننا مادامنا قد سلمنا بوجود المؤثرات ، وهى الدواعى التى تدعو إلى الخطابة والاكتثار منها ، كان من واجبنا أن نسلم بوجود الآثار وهى الخطب ، وخصوصا حينما نجد لعدم بقاء هذه الخطب أو وصولها إلينا أسبابا كثيرة معقولة . فما يؤيد رأى القائل بضياع الخطب أن الولاة الذين حكموا الأندلس في قرونها الإسلامية السبعة لم يكونوا من أسرة واحدة ، ولم يكونوا على وفاق فى الأهواء والمشارب ، بل لعله كان بينهم من الأحقاد والضغائن والاحن ما يكفى لدفع كل وال من الولاة إلى محو ما يكون قد أثر عن عدوه الوالى السابق من خطب سياسية أو قبلية لا يرضى عنها ، فإذا ما ذهبت ريح هذا الوالى ، وجاء بعده غيره مثل معه نفس الدور الذى مثله هو من قبل مع سلفه وسابقه ، فلم يكن هناك إذن مجال لاثبات هذه الخطب ، أو بقاءها مدة طويلة بعد الفترة المضطربة التى قيلت فيها حتى تدرك عهد التقييد والاثبات ، والتأليف والتأريخ ١١

(١) مذكرة الأستاذ الشافعى ص ٢٤٤ . « يتبع »
أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف